وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: تاريخ الوسيط

جهاد جلال الدين منكبرتي من خلال كتاب النسوى سيرة جلال الدين منكبرتي

مذكرة مقدمة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص:

دراسات في تاريخ و حضارة العصر الوسيط

إعداد الطالبتان :
*موزاوي نسرين
*قويسمي مريم

إشراف الأستاذ :
*حاجي حمزة

أعضاء اللجنة المناقشة:

الإسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
عبد الصمد حمزة	دكتور	رئيسا
حاجي حمزة	استاذ	مقررا
العربي ابو بكر	استاذ	عضوا

السنة الدراسية 1438هـ/1439هـ-2017م/2018م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "من لم يشكر الناس لم يشكره الله" رواه أحمد أبو داوود و البخاري في الأدب المفرد و ابن حيان و الطيالسي و هو حديث صحيح صححه العلامة الالباني.

الحمد لله على احسانه و الشكر له على توفيقه و امتنانه و نشهد ان لا اله الا الله و حده لا شريك له تعظيما لشأنه و نشهد ان سيدنا و نبينا محمد عبده و رسوله الداعي الى رضوانه صلى الله عليه و سلم .

بعد شكر الله سبحانه و تعالى و توفيقه لاتمام هذا البحث المتواضع نتقدم بجزيل الشكر الى من شرفني باشرافه على مذكرة بحثنا الأستاذ حمزة حاجي الذي لم تكفينا حروف هذه المذكرة لإيفائه حقه بصبره الكبير علينا و توجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن و التي ساعدتنا في اتمام دراستنا.

الى كل من ساعدنا من قريب او بعيد و الى عميد الكلية.

http://maomao520.yeah.net

إهداء

نشكر الله عز وجل على عونه لإتمام البحث.

الى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان التي صبرت على كل شيء ورعتني حق الرعاية كانت سندي في الشدائد وكانت دعواتها لي بالتوفيق تتبعني خطوة بخطوة في عملي الى من ارتحت كل ما تذكرت ابتسامتها في وجهي الى نبع الحنان أمي جزاها الله كل خير

الى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له أماله الى من كان يدفعني قدما نحو الامام لنيل المبتغى الى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديمه للعلم الى مدرستي الأولى في الحياة أبي الغالي أطال الله في عمره.

الى رموز الفخر و العز اليهما اهدي هذا العمل اخوتي محمد و يوسف أدامهم الله سندا لي دون أن ننسى جدي و جدتي أطال الله عمرهما

الى صديقاتي بالحياة عتيقة رحاب ووداد.

الى زميلتي في المذكرة و رفيقة دربي الى رمز الصداقة اختي مريم

نسرين

إهداء

إلى من نزلت طاعتها مقرونة بعبادة الرحمن و قال فيهم

"..و قضى ربك ألا تعبد إياه و بالولدين إحسانا "الى من قال فيها

الخالق ...و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقال و ارحمها كما ربياني صغيرا"

أهدي ثمرة نجاحي الى من غرس مبادئ الأخلاق و رسم معالم النجاح و عبد لي طريق المستقبل الى روح والدي الطاهرة الذي طالما تمنيت أن يكون يوم تخرجي أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته .

الى صاحبة القلب الكبير و العطاء الكثير ، التي طالما رافقتني بدعواتها الى أمي الغالية و الحبيبة،و نبع الحنان أطال الله في عمرها و أمدها الصحة و العافية .

الى تاج المحبة اخوتي و سندي في الحياة زكريا ء و كمال دون أن أنسى أختي الحبيبة و كل أولادها ادامها الله ،الى زوجة أخي أولادها رياض، سليم و البرعم الصغير المحبوب على قلبي ياسين .

إلى صديقاتي اللواتي هن مثل أخواتي مروة، امينة ،إيمان ، رحاب ،عتيقة ، وداد .

الى رفيقة دربي وأختي و صديقتي نسرين .

الى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي

" مريم "

إتسمت الخلافة العباسية بكثرة التداخلات الأجنبية لا سيما في العصور المتأخرة ، أدى الى انقسام و تشتت وحدتها فظهرت دويلات استقلت عن الخلافة العباسية من بينها الدولة الخوارزمية التي استغلت الأوضاع التي شهدها العالم الاسلامي و كونوا دولة مستقلة عن الخلافة الاسلامية ، كما ضمت اليها بعض الدول من بلاد ما وراء النهر فقد شهد العالم الاسلامي خلال القرن السابع هجري أحداث ووقائع غيرت خريطته السياسية فمن جهة تشتت الخلافة العباسية و انقسامها أدى الى ضعف و انهيار الحكم ومن جهة أخرى ظهور خطر جديد مهددا للمشرق الاسلامي و هو الغزو المغولي الذي بدأ يرمي بأطرافه للسيطرة على الدول الإسلامية خاصة الدولة الخوارزمية الذي اراد الانتقام من سلاطينها بسبب الهزائم التي ألحقوها بهذا الدخيل .

و مجريات هذه الأحداث نجدها عند النسوى الذي فصل في هذه الأحداث بحكمه شاهد عيان الذي يعتبر من المصادر الأولى التي تحدثت عن الحروب التي كانت بين المغول و سلاطين الدولة الخوارزمية لأنه كان منخرط في سلك و ظائف الدولة ، كما كان من بين الرسل الذين اعتمد عليهم جلال الدين منكبرتي في سفاراته الى الحكام المسلمين و هذا ما يجعل للأمر أهمية تاريخية حيث يمكن التعرف على أهم الأحداث و مجرياتها من مصادرها الأولى .

موضوعنا الموسوم جهاد جلال الدين منكبرتي من خلال كتاب النسوي الذي من خلاله تعرفنا على أحوال البلاد الإسلامية في القرون الماضية .

لهذا إختيارنا هذا الموضوع لما له أهمية تاريخية وعلمية فهو يساعدنا على معرفة أحوال المشرق الإسلامي في القرون الماضية وهذا ما شدنا للخوض في البحث في الجانب السياسي والأحوال العامة السائدة في تللك الفترة كذلك رغبتنا الشخصية في التعرف على أوضاع العالم الإسلامي خلال هجومات المغول وأعمال التخريب التي لحقت به وكيف عانى العالم الإسلامي من ويلاتهم .

كما اردنا تسليط الضوء على هذه الدراسة لأنه حسب ملاحظتنا وجدنا أنه لم تنل إهتمام الباحثين العرب وكل ماكتب كان باللغة الفارسية وقلة الترجمة الى العربية ولهذا سنحاول من خلال بحثنا

هذا جمع اكبر قدر من المعلومات والإعتماد على المصادر المتوفرة التي تعبر عن الأحداث الواقعة في تلك الفترة .

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الدراسة والتي كانت بعنوان جهاد جلال الدين منكبرتي في ابراز تاريخ أمتنا المتمثل في تبيان دور العالم الاسلامي في محاربة المغول و العمل على رفع راية الاسلام ،و لمساهمة في ترقية المشرق و ازدهاره بالإضافة الى معرفة أهم الادوار التي قام بها السلاطين و الحكام في مواجهة هذا الخطر دون ان ننسى القيمة التاريخية للمصادر التي تحدثت عن الموضوع .

إشكالية الموضوع:

لتحديد أهداف البحث و الوصول الى أقصى غاية له ارتأينا طرح الاشكالية التالية :

إلى أي مدى وفق النسوي في نقل أحداث جهاد جلال الدين منكبرتي؟

و للتوضيح أكثر و إزالة الغموض اعتمدنا على مجموعة من التساؤلات الفرعية المتمثلة في :

*فيما تمثلت أهمية الكتاب؟

*فيما تمثل جهاد جلال الدين؟

*كيف كانت علاقته مع الدول؟.

*كيف كانت نهايته ؟.

المنهج المتبع:

لدراسة هذا الموضوع و الاجابة عن التساؤلات المطروحة اعتمدنا على المنهج الوصفي لأنه يصف لنا الأحداث الواقعة في الفترة السابقة بالإضافة الى المنهج التحليلي و ذلك بالاعتماد على المصادر و المراجع المتعلقة بالموضوع ، عن طريق استخدام البطاقات المعلوماتية من خلال جمع المعلومات و

التحقق من مصداقيتها ثم تحليلها كما اعتمدنا على المنهج النقدي في استقراء و استنباط حول مختلف ما كتبه الباحثون و المؤرخون حول هذه الدراسة من خلال الاعتماد على اشارات و استنتاجات من أجل الإحاطة بالموضوع .

خطة البحث:

ولإثراء هذا الموضوع إتبعنا الخطة التالية التي قمنا برصدها بناء على ما توفر لدينا من مادة ، وهي تنقسم الى ثلاث مباحث اضافة الى المقدمة و الخاتمة وكل مبحث ينقسم الى ثلاث عناصر .

المقدمة : و التي تناولنا فيها التعريف بالموضوع و الاسباب الكامنة وراء اختياره و أهميته و طرح الاشكالية و بعض التساؤلات المراد الاجابة عليها ، كذلك ذكرنا المنهج المتبع و الخطة و أهم المصادر التي اعتمدنا عليها و في الاخير الصعوبات التي اعترضتنا في البحث .

المبحث الأول : الذي حمل عنوان دراسة كتاب و الذي من خلاله تطرقنا فيه للتعريف بالكاتب و اسلوبه و طريقة كتابته بعدها تطرقنا الى دراسة للكتاب و مدى أهميته ، وعرفنا بالمحقق

المبحث الثاني: المعنون لمحة عن تأسيس الدولة الخوارزمية ، تحدثنا فيه عن قيام الدولة الخوارزمية ودراسة لسلطانها ثم تطرقنا لتحليل شخصية جلال الدين منكبرتي بعدها قمنا بمقارنة بين جلال الدين ووالده

أما المبحث الثالث :فقد تمحور حول جهاد جلال الدين منكبرتي ،خصصناه لجهاده ضد المغول و القوى المجاورة من الكرج و الإسماعليين و الأيوبيين و كذلك أهم التحالفات التي كانت ضده بعدها تحدثنا عن تجدد خطر المغول ثم نهايته

أما الخاتمة: فقد كانت حوصلة تضمنت استنتاجات التي تمس الدراسة كما أضفنا عدة ملاحق توضيحية تزيد الموضوع ثراء .

الدراسات السابقة :

إن موضوع جهاد جلال الدين منكبرتي لم نصادفه كعنوان لدراسة لكن لا يعني أنه لم يتطرق إليه الباحثون في بحوثهم فيما يخص الدولة الخوارزمية من جميع جوانبها و من هذه الدراسات نجد رسالة ماجستير تحمل عنوان "موقف الشيعة من غزو العراق" لغسان محمود وشاح الذي تحدث في الفصل الأول عن أوضاع الخلافة قبيل الغزو المغولي وهناك تطرق الى قيام الدولة الخوارزمية حتى اخر سلاطينها و لكن بإيجاز .

وهناك دراسة أخرى رسالة ماجستير بعنوان "الخوارزمية ، نشأتها ،علاقتها مع الدول الاسلامية و نظمها العسكرية و الادارية " للدكتور توفيق نافع عبود و التي ساعدتنا كثيرا في تحرير موضوعنا .

و أيضا رسالة ماجيستير بعنوان " التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية " تأليف عفاف سيد صبرة التي اعتمدنا عليها في كتابة البحث .

أهم المصادر:

اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر و المراجع التي تناولت الموضوع بصورة مباشرة أو جزئية نذكر منها:

01-كتاب الكامل في التاريخ :لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير المتوفي في سنة 630هـ ولد بجزيرة عمر ثم انتقل الى الموصل في سنة 579هـ و تلقى تعليمه على أفضل مشايخ عصره فبرع في العديد من العلوم و على رأسها التاريخ ويعد كتاب الكامل في التاريخ من أشهر مؤلفاته و يمتاز هذا المصدر عن غيره بكثرة وثاقيته و توازنه في تناول الأحداث و الربط بينها الى غير ذلك من السمات التي اتسم بها فهو يسرد الحقائق التاريخية بعبارات موجزة و بسيطة دون ذكر التفاصيل التي لا داعي لها كما انه أخذ معلوماته من مصادرها الأصلية لهذا أعطى كتابه قيمة علمية كبيرة وقد أمدنا الجزء التاسع و العاشر و الحادي عشر.و الثاني عشر من هذا المصدر بمعلومات وافية ووفيرة في كل فصول الرسالة.

02- كتاب البداية و النهاية : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي 700-774هـ وقد بدأ في كتابة تاريخه منذ بداية الخليفة الى ان يصل الى أحداث عصره و استخدم في ذكر الأحداث نظام الحوليات فيذكر في كل سنة أهم الأحداث التاريخية في العالم الاسلامي ثم يختم ذلك بذكر أشهر من توفي في تلك السنة من الأعلام المشهورين ، وقد أفاد البحث خاصة بجزئه السابع و الثالث عشر في الفصل الثاني من خلال معرفة دوافع الغزو المغولي للدولة الخوارزمية في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه .

03- كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب : لمؤلفه النوري الذي أورد معلومات قيمة عن الدولة الخوارزمية و سلطانها جلال الدين منكبرتي و عن المغول في اسيا الصغرى خاصة الجزء السابع و العشرون الذي استطعنا الاستفادة منه في موضوعنا .

04- كما أننا اعتمدنا على المصادر العربية التي عاصر مؤلفوها الأحداث المغولية من موطنهم في الشام و مصر و هؤلاء اعتمدوا في بحوثهم على ما نقله اليهم اللاجئون و التجار و الحجاج التي أفادتنا في دراسة أحداث الغزو المغولي لبلاد المشرق الاسلامي نذكر منها:

-المختصر في أخبار البشر :لإسماعيل بن علي الشهير بأبي الفدا توفي سنة 732هـ/1331م .

-مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل توفي سنة 697هـ/1297م.

المصادر الجغرافية:

تعد كتب الرحالة و الجغرافيين من المصادر الهامة التي تتوفر على الكثير من التفاصيل و المعلومات الهامة التي تساعد في دراسة الحياة الاقتصادية و الاجتماعية بمختلف الأقاليم و المدن و من أهم هذه المصادر التي اعتمدنا عليها :

كتاب معجم البلدان لشهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي الرومي توفي سنة 626هـ فقد امتاز بترتيبه تبعا لحروف الهجاء و دقته و اتساعه مما أفادنا كثيرا عند التعريف بأي مدينة من المدن ، كما أنه يجمع بين الجغرافيا و التاريخ و الأدب لذا استفدنا من أجزائه الخمسة في كل فصول البحث

هذا فضلا عن باقي المصادر الجغرافية الأخرى منها كتاب اثار العباد و أخبار العباد لأبي زكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفي سنة 681هـ.

كتاب المسالك و الممالك لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفرسي الإصطخري المتوفي سنة 346هـ.

المصادر الفارسية المعربة:

كتاب تاريخ جهانكشاي أو تاريخ فاتح العالم يقصد هنا جنكيز خان تأليف عطاء الدين عطا ملك الجويني توفي سنة 681هـ/1280م يعد من أحسن الكتب المعاصرة ومن أقدم المصادر التي كتبت عن تاريخ المغول و انتصاراتهم و قد تألف هذا المصدر من ثلاثة أجزاء وقد استفدنا من الجزء الأول والثاني كثيرا خاصة في الفصل الثاني و الثالث.

المراجع:

-ولا ننسى الفائدة الكبيرة التي قدمتها بعض المراجع الحديثة للبحث و يأتي في مقدمتها :

01-الدواة الخوارزمية و المغول للدكتور حافظ حمدي و هي رسالة ماجيستير مطبوعة.

02-كتاب الحياة السياسية الاسلامية في الشرق الاسلامي للدكتور سعد الغامدي.

03-كتاب تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير للدكتور بدري محمد فهد .

04-كتاب المغول في التاريخ لفؤاد عبد المعطي الصياد.

05- كتاب المغول للدكتور السيد الباز العريني.

ولقد استفدنا من هذه المراجع فائدة كبيرة فهي دراسات تاريخية بالغة القيمة أمدت الرسالة بمادة تاريخية جيدة بالإضافة إلى إشتمالها على الكثير من الأراء التي أفادتنا في كتابة هذا البحث.

المراجع الأجنبية المعربة:

-أما المراجع الأجنبية المعربة فقد استفدنا منها خاصة كتاب تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي و كتاب الترك في اسيا الصغرى للمؤلف بارتولد.

-كتاب تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي الى السعدي لمؤلف ادوارد بروان .

-كتاب بلدان الخلافة الشرقية للمؤلف كي لسترنج.

الصعوبات:

لا يوجد عمل لا يخلوا من الصعوبات ، ولعل أهم الصعوبات التي وجهتنا في العمل هي :

-دقة و تحصيل هذا الموضوع لأنه يتطرق الى شخصية بعينها .

-دراسة جهاد و شخصية قتل جلال الدين منكبرتي تحتاج الى التوسع و التعمق و هذا يعني و جود مصادر بالهندية و الأوردية و الفارسية من أجل الإلمام بالموضوع و هذا صعب علينا.

-دراسة الكتاب سهلة و لكن تحليله و فهمه ونقده صعب (ضيق الوقت)

-حاولنا دراسة شخصية النسوى و جمع المعلومات و التفصيل في شخصيته ألا أننا لم نجد مصادر او مراجع تتحدث عنه .

1-تعريف بالكاتب :

يعد كتاب النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ذا أهمية بالغة كمصدر لمؤلف عاش في كنف من أرخ لهم فعتبر من أهم المصادر التي أرخت للخوارزميين خاصة أخر سلاطينها جلال الدين منكبرتي .

أ-تعريف النسوي :

هو نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشئ الزيدري النسوي الخراساني .

المنشئ هو لقب يشير إلى وظيفته حيث ترأس الديوان [1]الإنشاء[2] للسلطان جلال الدين منكبرتي ، كما أنه إشتهر بألقاب أخرى نسبة إلى مسقط رأسه سواء إلى بلدة أو المدينة ، التي تتبعها أو الإقليم الذي تقع فيه المدينة ، فالزيدري نسبة إلى بلدة أو قلعة الزيدر[3] والنسوي نسبة إلى مدينة نسا والخراساني إلى خراسان[4] التي تقع فيها مدينة نسا[5]

[1] الديوان :كلمة فارسية معناها سجل او الدفتر ثم تطور هذا اللفظ فأطلق من باب المجاز على المكان الذي تحفظ فيه السجلات خاصة بأمور الدولة المختلفة ،أنظر ، النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،تح :حافظ احمد حمدي ،د.د.ن ،القاهرة ،ط1، 1953م ،ص5

[2] ديوان الإنشاء :اول ديوان وضع االإسلام وضعه النبي صلى الله عليه وسلم ليكاتب أمرائه وأصحاب سراياه وعرف بالديوان الرسائل وصاحبه يدعى صاحب ديوان الرسائل ،أنظر ، النسوي : نفسه ،ص 59

[3] زيدر :هي بلدة تقع بالقرب من سخنان ونسا إقليم في خراسان ، ايران حاليا ، أنظر النسوي : نفسه ،ص115

[4] خراسان : بلاد واسعة تقع من نواحي جرجان وتشمل على امهات المدن منها نيسابور وهراة ومرو ،أنظر ،الإصطخري :المسالك والممالك ، تح :محمد جابر عبد العال ، د.د.ن ، القاهرة ، د.ط ،1961م،ص 145

[5] نسا :هي مدينة تقع في إقليم خراسان وينتسب اليها النسائي أحد كبار علماء الحديث ،النسوي : نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان الصدور وزمان صدور الفتور ، تر :عادل عبد المنعم سويلم ، زهدى للطباعة ،القاهرة ،د.ط ،2004م،ص60

ينتمي النسوي إلى أسرة عريقة ، أما عن مكانته قبل الإنضمام لخدمة السلطان جلال الدين فقد خدم الأمير إختيار الدين زندكي بن محمد بن حمزة أمير مدينة نسا وذلك أثناء هجوم المغول على إقليم خراسان[1]

ب–إلتحاقه بخدمة الجيش :

إلتحق النسوي بخدمة السلطان جلال الدين في الفترة الأخيرة من حياتة وبعد أن إستولى هذا الأخير على أذربيجان ومن المرجح أنه تقلد هذا المنصب سنة 629هـ أي أنه لم يعمل في خدمته على رأس ديوان الإنشاء إلا في لفترة سبع سنوات الأخيرة والتي تعد من أشد سنوات الحكم .[2]

أما عن إنضمامه إلى خدمة السلطان فقد حدث أن أرسله نصرة الدين حمزة بن عمر[3] ولما ورث نسا عن ابن عمه وقد أرسل إلى غياث الدين أخي السلطان بقدر من المال لمصالحته عليه وقبل وصوله علم أن الدولة الغياثية زالت وآل الحكم الى جلال الدين منكبرتي[4] وبعد أن وصل إلى المدينة وإلتقى السلطان قام بتعيينه للعمل معه وأن يصحبه معه إلى نسا لطرد اينان خان الذي حاول الإستلاء على نسا كما قام هذا الأخير بقتل ونهب الكثير من الإرث الزيدري فإضطر النسوي إلى البقاء مع السلطان والإنضمام إلى حاشيته وبعدها فوض منكبرتي رئاسة ديوان الإنشاء إلى النسوي وكذلك قلده منصب الوزارة في مدينة نسا وشرط عليه ان يبقى الى جانبه وان ينيب عنه الثقاته [5]

[1] النسوي :نفثة المصدور في زمان الصدور ،ص17-1

[2] النسوي : نفسه ،ص 19

[3] لم اجد تعريفا عنه

[4]منكبرتي : معناه هبة من السماء ، او مبعوث السماء ، أنظر ،النسوي : نفثة المصدور ,ص100

[5] النسوي : نفسه ، ص37

ومنذ ذلك الوقت ضل النسوي مرافقا للسلطان جلال الدين كظله في حله وترحاله وحروبه وأسفاره ولم يكن يثق في أحد غيره بحيث أصبح شاهدا على كل الأحداث والوقائع التي تعرض جلال الدين منكبرتي اليها في تلك السنوات التي قضاها في خدمة السلطان

ج–أسلوب كتابة النسوي :

يعتبر النسوي من المؤررخين المشهورين في الدولة الخوارزمية كما أنه كان من الأدباء وأصحاب اللسانيين ، فقد كان كاتبا مسترسلا في كتاباته في اللغتين الفارسية والعربية [1]، كما انه اتقن عدة لغات كانت منتشرة في الأقاليم الإسلامية ومنها اللغة التركية و الأرمينية لذا نراه قام بدور المترجم بين السلطان وبين الرسل التي كانت ترد الى البلاط وتحمل الرسائل بلغات شتى ،كما أنه كان تملك ثقافة واسعة في اللغة العربية والفارسية ومهتما بالتزويد من مناهل هذه الثقافة كان له مكتبة خاصة في بلدته جمع فيها نفائس الكتب التي توصلت اليها يده حتى أثناء نكبة المغول [2]

كما يتضح لنا ان ثقافة النسوي ومعرفته قد جمعها من أوجه شتى وأنه قبل أن يكتب السيرة قرا أمهات كتب التاريخ التي كانت تتحدث عن تاريخ مختلف الأمم والشعوب في زمانه واطلع عليها فنجده ينقل عنها أحيانا وينتقدها احيانا بل يصحح بعض ما ورد فيها من الأخطاء

فقد اعتمد في كتابه على مصطلحات الأدبية اكثر من التاريخية مثل اعتماده على الأيات القرأنية ، الشر بكل أنواعه المدح الرثاء فلهذا ضنف من الأدباء المعروفين فب إقليم خوارزم.[3]

[1] احمد محمد الحوفي : الزمخشري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ط1 ، 1966م ، ص18

[2] النسوي : نفثة المصدور في فتور زمان الصدور ،ص35

[3] النسوي : نفسه ،ص38–39

2-تعريف الكتاب :

أ-دراسة الكتاب من الناحية الظاهرية :

-الإسم الكامل للكتاب : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي.

-تاليف :نور الدين محمد بن أحمد النسوي

نشر وتحقيق : حافظ أحمد حمدي .

-عدد الصفحات : 441صفحة.

-الأجزاء :الواحد.

-حجم الكتاب : متوسط الحجم .

-الواجهة الأمامية والخلفية : بيضاء

-الطبعة :1953م

ب/من الناحية الباطنية :

بدأ كتبه بمقدمة وفيها قدم لنا شاهات خوارزم ومراحل حكمهم ، ثم أعطى لنا لمحة عن المغول واندفاعاتهم على الشرق الإسلامي فقال :"انبثق فجر القرن السابع هجري ،والثالث عشر ميلادي والشرق الإسلامي يستعد لاستقبال تلك الجيوش المغولية الجرارة التي اندفعت نحوه اندفاعا من شمال اسيا الشرقي...."وأهم هذه الغزوات التي كانت في البداية مع جنكيز خان ثم تلت عدة غزوات ومدى أثرها من قريب أو من بعيد على جميع النواحي السياسية والإجتماعية والإقتصادية ،فالمغول جئ بنية الأنتقام من ولاة الأمر في البلاد الإسلامية وخاصة الدولة الخوارزمية فقد كانوا يتطلعون الى كسب مادي ياتيهم من هذه البلاد حتى يعوضوا ماكانو يعيشونه من فقر ، فقد تحدث النسوي عن

الأوضاع التي كانت سائدة في العالم الإسلامي والتي ساعدت المغول في الإنتصار عليهم خاصة الضعف الذي سيطر عليهم سواء على الساسة أو عند المحاربين ،خاصة وأن الجيش الإسلامي كان خليط غير متجانس وهذا ماساعد المغول على احكام سيطرته على العالم الإسلامي .

ثم انتقل الى التحدث عن نشأت الدولة العباسية والأوضاع التي عاشتها طوال فترة قيامها .

بعدها أكمل في تعريف المغول ونمط عيشهم وموطنهم فقال :"قبائل المغول التي نشأت في الهضبة المعروفة بهضبة منغوليا شمال صحراء جوبي ، من أهم المصادر وابرز هذه القبائل فقد كانت تعيش عيشة بربرية بحتة ...." كما يحدث عن خانها الأعظم جنكيز خان[1] وكيف وحد القبائل المتفرقة.

كما ذكر الأحداث التي عاشتها وراء النهر من تخريب ونهب وتدمي من طرف المغول بقيادة جنكيز خان حيث توسعت نفوذه على كامل مدن ما وراء النهر وهنا تضررت الدولة الخوارزمية وفقدت سيطرتها على أقاليمها فقتل سلطانها وتخربت أقاليمها وتشتت جيوشها ، وقد ذكر "سيكس"ان حب المغول للتخريب يرجع الى طبيعتهم البدائية بحيث انهم إذا إحتكوا ببلد من البلاد المتحضرة يندفعون الى تدميرها وتجريدها من مظاهرها الحضارية والمدنية بسبب خوفهم منها،كما نجد الكاتب هارولد لام يشنه قوة المغول البدائية بالريح العاصفة والزلزال العالمي ، إذ استطاعوا أن يصلوا الى الحدود اسيا الشرقية والغربية وأن يعبروا السفوح الوعرة بعقل لا يفترق عن عقل الحيوان الذي لا يكترث لتعذيب البشر

كما يطرق الى الإنتصارات التي احرزها السلطان جلال الدين منكبرتي بعد وفاة والده وكيف استطاع ارجاع دولته ولكن هذا الإنتصارات لو تدم طويلا فقد خرجت دول رافضة لسياسة جلال

[1] جنكيز خان :تيموجين المشهور بإسم جنكيز خان المولود على ضفاف نهر أنون أمامعنى إسم تيموجين فهو لفظة صينية معناها الصلب الفائق ويقال الفارس الكامل ولقب الخان يعني الملك الأعظم أوإمبراطور البشر ،انظر ،رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ ،ج2،معهد إحياء التراث الإسلامي ،رقم 90،جامعة الدول العربية ن دت ،ص107،أنظر :الجويني :المصدر السابق ،ج2،ص18

الدين وجيشه فقامة حروب مع جيرانه وهذا ما زاد من إضعاف الدولة الخوارزمية وبعدها مجئ اوكتاي الذي قضى على الدولة وهروب جلال الدين ومقتله فيما بعد.

كما أن كتاب النسوي لم يحتوي على فصول وإنما عناوين فرعية.

3-اهمية الكتاب :

سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي من تأليف محمد بن أحمد النسوي ، ويعد من أهم الوثائق المعاصرة باعتباره كان ملازما لجلال الدين منكبرتي وقد قضى معه الشطر الأكبر من حكمه وبقي معه حتى أخر أيامه ،ومن تسمية هذا الكتاب نلاحظ أنه عاش الأحداث التي كانت في تلك الفترة وكان شاهد عيان لها وكيف تعامل معا السلطان .

وقد كتب النسوي هذا الكتاب بعد وفاة السلطان جلال الدين بعشرة سنين وهذا ما يجعلنا نطمئن الى أنه لم يكن تحت تأثير معين وهو يكتب عنه ، ومن خلال كتابته يمكن أن نحكم على أهمية ما كتبه عن حياة السلطان والأحداث التي أخذها عن مصدرها كما أنه أعطى الأحداث التي أخذها عن مصدرها كما أنه أعطى لنا صورة واضحة عن الوقائع التاريخية وأهم المواجهات التي خاضها جلال الدين خاصة وأنه عاش في كنف من أرخ له ،إلا أنه هذا لم يمنعه من إبراز معاني الولاء لذلك السلطان وحتى ان كانت بطريقة غير مباشرة[1] .

إلا أن المصدر يعتبر من أهم المصادر التاريخية فهي تساعد الباحث على معرفة الكثير عن المغول والخوارزميين وكل الأحداث التي وقعت في القرن السابع هجري خاصة وأن هذه الوقائع لم يصلنا منها إلا القليل واذا وصلت لم تجد من يترجمهما[2]

[1] عباس الغزاوي : التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، شركة التجارة والطباعة المجددة ، ط1 ، 1376هـ/1985م ، ص61-64

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص26

أ–نقد وتقييم الكتاب :

يمكن القول ان النسوي لم يكن من المؤرحين البارزين في عصره على رغم من انه كان يتولى منصب الإنشاء في عهد السلطان جلال الدين منكبرتي ، ورغم هذا نجد أسلوب الكتابة عنده متواضع تغلب عليه الصنعة كما أنه أكثر من إستعمال المحسنات البديعية والصور البيانية وإستعان بالأمثال العربية والآيات القرآنية ليقحمها في كتاباته كما نرى أسلوبه في أغلب الأحيان يغلب عليه طابع الغموض وهذا ما جعله يقع الأخطاء اللغوية والنحوية.

كما ان النسوي لم يتبع طريقة كتابة المؤرخين من خلال سرد الأحداث التاريخية وتدوينها حسب ترتيبها الزمني بل نجده عالج الموضوعات التي إهتم بكتابتها دون أن يتقيد بترتيبها زمنيا وبذلك إختلف طريقة كتابته بشكل واضح من حيث الطريقة والنهج الذي إنتهجه كما أنه لم يهتم في تفسير معاني المصطلحات التي لها أهمية تاريخية خاصة كأسماء الوظائف والدواوين واسماء ألات الحربية بل إهتم بنقل الأحداث والحروب التي كانت تلك الفترة[1]

كما إعتمد على العبارات المبالغة في وصف جلال الدين مثل:"جلال الدين ذلك الملك الذي جزاه الله بأن جعله سلطان على العالم "[2]،"وعندما نشر رايتك أزالت هذه الراية ظلام"[3]وهذا تعبير فيه مدح كثير.

كما انه كان من أشد المدافعين عنه حتى في أخطائه ودليل ذلك تبرير موقف جلال الدين منكبرتي من أعمال الهمجية التي حصلت في خلاط عندما إستولى عليها وقام بنهب وسلب دون أن ننسى الأعمال الوحشية وهنا النسوي دافع عنه بقوله :أن عسكره هم الذين فعلوا ذلك بحجة طول مدة

[1] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص26-29

[2] النسوي :نفثة المصدور في فتور الصدور ،ص84

[3] النسوي :نفسه ،ص85

الحصار وأن جلال الدين لم يكن راضي على أعمالهم ،وهنا هل من معقول ان يتحكم العسكر في سلطانهم ألم يكن بإستطاعته توقيفهم فنرى النسوي هنا منحازا الى سلطانه[1]

4-تعريف المحقق:

النشار السيد حافظ أحمد حمدي ، أستاذ وكاتب ومؤلف متحصل على شهادة ليسانس وماجستير في الأدب ودكتوراه في التاريخ الإسلامي ودبلوم معهد التربية العالي[2]

أ-اسلوبه في كتابته :

الدقة في أسلوب علمي مبني على دراسة عميقة لمصادر أصلية ،إضافة حقائق علمية طريفة تفيد العلم فائدة محققة وتنير السبيل أمام الباحثين في تاريخ المغول والشرق الإسلامي.[3]

ب-مؤلفاته :

-الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي

-الدولة الخوارزمية والمغول

-تحقيق كتاب النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي.

-تحقيق السيرة الجلالية

[1] النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص 321

[2] احمد حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1949م ، ص3

[3] احمد حافظ حمدي : نفسه ، ص 7

1-تعريف إقليم خوارزم :

خوارزم اسم لناحية كبيرة قصبتها الجرجانية[1]كان اهاها يسمونها كركانج وهي ولايات متصلة العمارة متقاربة القرى كثيرة البيوت المنفردة[2]

هناك أقوال أخرى حول أصل تسمية هذه المنطقة وهو أنه كان لإقليم خوارزم في صدر العصر الوسطى قصبتان أولهما في الجانب الغربي أي الفارسي من نهر جيحون تسمى الجرجانية والأخرى في الجانب الشرقي ويسمى أي التركي من نهر كاث

ويذكر ياقوت الحموي :"ان أحد الملوك القدماء عصب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم و بين العمارة فرسخ[3]، فلم يجدوا على هذه الضفة الا موضع مدينةكان وهي احدى مدن خوارزم فجاءوا فوجدهم قد بنوا أكواخا ووجدهم يصيدون السمك وبه يتقوتون واذ حولهم حطب كثير فقالوا لهم كيف حالكم فقالوا عندنا هذا اللحم و أشاروا للسمك و عندنا هذا الحطب منحن نشوي هذا بهذا و نتقوت به فرجعوا للملك و اخبروه فسمي ذلك الموضع خوارزم لأن اللحم باللغة الخوارزمية "خوار" و الحطب "رزم"[4].

أ-المناخ :

المناخ في خوارزم شديد الصعوبة خاصة في فصل الشتاء حيث تجمد مياه الأنهار كنهر جيحون و هذا لا يمنع الأهالي من الحركة او العمل حيث تعبر قوافل التجارة الأنهار ذهابا و إيابا[5]

---

[1]الجرجانية :مدينة عظيمة مشهورة على شاطئ جيحون من أمهات المدن الجامعة لأشتات الخيرات وأنواع المسيرات ،أنظر ،عفاف سيد صبره :التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ،دار الكتاب الجامعي ،القاهرة ،ط1، 1987م،ص12

[2]ابن الحق البغدادي :مراصد الإطلاع على الأمكنة البقاع ،تح ،علي محمد البجاوي ،د.دن ،القاهرة ،1954م ،ص487

[3]الفرسخ يساوي ثلاثة أميال ،عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص12

[4]ياقوت الحموي: معجم البلدان ،دار صادر ،بيروت ،ج2 ،ص395

[5]المؤيد إسماعيل أبو الفدا :تقويم البلدان ،دار صادر ،باريس ،ط1،د.ت ،ص477

يتكلم الخوارزميون اللغة التركية وهي تختلف بطبيعة الحال عن اللغة الفارسية التي يتحدث بها أهل خراسان[1] الواقعة جنوبي بلادهم و يبدوا أنهم كانوا ينطقون لغتهم التركية تلك بلهجة خاصة يصفها ياقوت الحموي بقوله :" وكلامهم كأنه أصوات الزرازير أي العصافير "[2]

ت– الصفات الجسمية والنفسية :

أما عن صفاتهم الجسمية فكانت واضحة فيهم انهم يمتازون بالطول و الضخامة و في رؤوسهم عرض و لهم جبهات واسعة[3] .

أما وعن صفاتهم النفسية فقد كانت تدل على أنهم أهل غلظة و نجدة و أصحاب عزيمة صلبة و محبة للسفر خاصة خرسان[4]، وهم على إجمال قد تمرنوا على ضيق العيش و القناعة بالشيء اليسير حتى صاروا موضع بأس و منعة فبهاتتهم قبائل الأتراك التي كانت مصدر خوف من جيرانها فكانت تهاب سطوتهم و تحذر من مصادرتهم[5]

ث–المهن والحرف :

وقد احترف الخوارزميون الكثير من المهن و أهمها التجارة حيث كانت مدن خوارزم أغلبها تحتوي على أسواق و دكاكين و في النادر ما نجد قرية أو منطقة لا سوق بها و ذلك بسبب انتشار الامن و الطمأنينة.

1–التجارة :

من أهم تجارات خوارزم الطعام و الحبوب و الفاكهة كما كانت تصدر منها ثياب القطن و الصوف

[1]الإدريسي :نزهة المشتاق في إختراق الأفاق،ج2 ،نشر مكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة ،ط1،د.ت ،ص699

[2]ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج2 ،ص396

[3]ياقوت الحموي :نفسه ،ص396

[4]الحميري :الروض المعطار في خبر الأقطار ،دار السراج ،بيروت ،ط2 ،1401هـ/1980م ،ص225

[5]الإدريسي :المصدر السابق ،ج2 ،ص699

و الحرير و الشمع ،و لحاء شجر الحور الابيض الدي يتخذ منه غلاف الدروع و العنبر و العسل[1] ، كذلك كانت خوارزم مركزا لحركة بيع و شراء أشهر أنواع الفراء و أغلاها و منها الفنك و السمور و الثعالب و كانت تجلب اليها من بلاد البلغار على نهر فولجا ، كما نشطت أيضا تجارة الرقيق من الصقالبة و الأتراك الذين كانوا يجلبون صغارا فيجرى تعليمهم الدين الاسلامي و أدابه ثم يرسلون الى سائر الأقطار الاسلامية[2].

2-الزراعة :

كما اهتم الخوارزميون بالرعي اهتماما واضحا فقد انتشرت المراعي في الشمال قرب بحر ارال حيث كانت تربى قطعان الأغنام التي يؤخذ منها الصوف و قطعان الماشية التي تنتج اصنافا كثيرة من اللبن و الجبن[3] ، كما اهتموا ايضا بزراعة الأشجار خاصة شجر التوت و الخلاف لاحتياجهم اليه لعمارتهم و دود الإبريسم ، كما كانوا يزرعون العنب و السمسم و الارز و القطن[4] و البطيخ الذي لا يوجد مثله في شيء من البلادة حلاوة وطيبة[5]

3-الصناعة:

ومن الطبيعي أن يقوم على ذلك كله العديد من الصناعات و منها صناعة السيوف و الدروع،

وصناعو البساط و الثياب و اللحاف و الصناعات الحريرية و كذلك صناعة السفن من جذوع الأشجار للملاحة في الأنهار الكبيرة و الصغيرة.

---

[1]كي لسترنج :بلدان الخلافة الشرقية ،تر :كوركيس عواد ،بشير يوسف فرنسيس،نشر مؤسسة الرسالة بيروت ،ط2،1405هـ/1975م،ص501

[2]الحميري :المصدر السابق ،ص255

[3]الإدريسي :المصدر السابق ،ج2،ص670

[4]ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج2،ص396

[5]كي لسترنج :المجع السابق ،ص502

2-قيام الدولة الخوارزمية(490هـ-1193م/628هـ-1231م):

1-موقعها :

نشأت هذه الإمبراطورية في العصور الوسطى و عاصمتها أورقنتش[1] وقد اتفق الجغرافيون المسلمون في تحديد إقليم خوارزم فذكروا أن حدوده من الغرب بلاد الترك الغربية ومن الجنوب بلاد خراسان و من الشرق بلاد ما وراء النهر ومن الشمال بلاد الترك[2] ، ويقع إقليم خوارزم في وقتنا الحالي ضمن الاتحاد السوفياتي ووزعت بين جمهوريتين أوزبكستان و تركمنستان و ذلك بعد غزو الروس لها و خلعهم أميرها خان خيوه السيد عبد الله خان بهار سنة 1924م

2-الحياة السياسية :

أ-حكم انوشتكين :*

كانت بداية ظهور الدولة الخوارزمية مرتبطا أشد ارتباط بدولة السلاجقة[3] الحاكمة في هذه الفترة و التي بسطت سلطانها على إقليم خوارزم منذ العهد طغرل بك السلجوقي فظلت تابعة للسلطان وورثته من بعده.

ويرجع تأسيس هذه الدولة الى مؤسسها أنوشتكين[4] و كان في أول الأمر عبدا اشتراه أحد الأمراء السلاجقة المدعو يلباك من رجل غرشتان فسمي أنوشتكين غرشتان[5]

---

[1]محمد شفيق غربال :الموسوعة العربية الميسرة ،مؤسسة فرانكلين للطباعة ،القاهرة ،1982،ص828

[2]ابن حوقل :صورة الأرض ،دار كتيبة الحياة ،بيروت ،د.ت ،ص488

*انظر الملحق رقم 1،ص1

[3]السلاجقة :تنتسب هذه الدولة الى مؤسسها سلجوق بن دقماق وأشهر سلاطينها طغرل بك الذي عمل على توسيع عرش بلاده ،انظر السيد أكرم عبد المؤمن :أضواء على تاريخ توران (تركستان)،تقديم :احمد محمد جمال ،د.دن ،إسطنبول ،1992م،ص52-53

[4]انوشتكين :يرجع نسبه الى بلكين أحد مماليك السلطان ألب أرسلان بن جغري وكان يتولى مللك خوارزم ،انظر ,ابن واصل :مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ،تح :ربيع حسين ،ج4،د.دن ،القاهرة ،1974م/1977م،ص53

[5]غرشتان :بلاد الغور وهي ولاية ما بين غزنة وبلخ وهراة ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج3،ص785

عمل أنوشتكين في وظيفة الطشت دار[1] أو الساقي و هي احدى وظائف البلاط الاسلامي المعروفة ،كما أسندت اليه وظيفة شحنة خوارزم باعتبار أن هذه الوظيفة تابعة لوظيفة الطشت دار الى ان قام السلطان السلجوقي بركيا روق بتنصيبه حاكما على اقليم خوارزم و تلقب بلقب خوارزم شاه سنة 490هـ/1096م.مكافأة له على خدماته للبيت السلجوقي[2] .

و يبرز لنا ابن الأثير شخصية أنوشتكين بأنه كان حسن الطريقة كامل الأوصاف وكان مقدما مرجوعا إليه[3]،توفي أنوشتكين عام 490م تاركا تسعة أولاد و أحفاد من أبرزهم ابنه محمد الذي لأحسن تربيته وتعليمه و دربه على أصول الحكم والإدارة.

ب–حكم قطب الدين محمد انوشتكين :

حكم قطب الدين محمد بن أنوشتكين و يؤكد المؤرخون على حسن أخلاق قطب الدين فقد كان عادلا حيث عم الأمن و السلام ربوع البلاد في عهده و ذاع صيته و انتفع الناس ببره و كرمه و من أبرز خصاله أنه قرب إليه رجال العلم و الدين فأصبحوا هم خاصته و بطانته فازداد ذكره حسنا و محله علو[4]

و من أهم الخدمات التي أسداها قطب الدين الى السلطان سنجر[5] عندما هاجم ملوك الأتراك على مدينة خوارزم بادر بالعودة و قبل وصوله إليها أرسل الى سنجر أثناء تواجده بنيسابور يطلب منه

[1]الطشت دار :هي وظيفة تعمل فيها الموظفين في غسل الأيدي وملابس السلطان والسجاد الذي يصلي عليه ويسمى الصبيان الذين يعملون في هذه الوظيفة الطشت دار او بالخوائبة ،انظر ،أبو العباس القلقشندي :صبح الأغشى في صناعة الإنشا ،مج 4،د.دن ،القاهرة ،1919م ،ص10-11

[2]عفاف سيد صبرة ،المرجع السابق ،ص38

[3]ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،ج8 ،ص184

[4]نفسه ،ص184

[5]سنجر :أبو الخارث سنجر بن ملكشاه بن الب أرسلان بن جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق العزي ولد بمدينة سنجار سنة 477هـ/1084م،وهوسادس سلاطين دولة السلاجقة ،انظر الحسيني :أخبار السلجوقية ،صححه :محمد لقبال ،دار الأفاق الجديدة ،بيروت ،1984م ،ص64

العون و بعد ذلك تقدم محمد ناحية خوارزم فهربت قوات الاتراك الى منقشلاع[1] و بذلك امنت البلاد شر الهجوم و اتحدت القوى الخوارزمية جميعا أمام الأعداء[2]

ت–حكم أتسز :

و قد كانت وفاة قطب الدين في عام 521هـ/1127م و قد تولى ابنه اتسز[3] مكانة 522هـ/1128م "فمد ظلال الأمن وأفاض العدل "[4] و كانت قواعد الألفة و المحبة مستحكمة بينه و بين السلطان سنجر اذ تصادف ان تعرض سنجر لمؤامرة استهدف فيها المتآمرون قتله أثناء خروجه للصيد و علم اتسز بما يدبر لسيده فتدخل في الأمر و نجاه من الموت[5] .

وفي عام 529هـ/1134م رافق اتسز السلطان سنجر لمحاربة السلطان بهرام شاه سلطان الغزناويين و السبب أن هدا الأخير خرج عن طاعته و انه مد يده على ظلم الرعايا و اغتصاب أموالهم، وقد نجح سنجر و خوارزم شاه من دخول غزنة و تملكها ، وقد ظل اتسز على علاقة طيبة بالسلطان السلجوقي في الفترة من 520هـ–529هـ/1126م–1134م و عندما وطد أركان دولته بالصورة التي جعلها تقف على حد سواء من مملكة السلاجقة بدأ أتسز يفكر في الاستقلال.

ث–ثورات التي قامت ضد الدولة الخوارزمية :

وفي عام 530هـ/1135م اعلن اتسز ثورته على سنجر و سبب ذلك أن اتسز اراق دماء المسلمين بجند و منقشلاع دون اذنه فقام اتسز بالقبض على عمال السلطان و ألقى بهم في السجن و صادر

---

[1]منقشلاع :شبه جزيرة اتخذ منها البدو والرحل من الأتراك فيما بين بحر ارال وبحر قزوين من مراعي صيقة لهم وتمكن اتسز من الإستلاء عليها ،انظر ،حكمت محمد علي أمبابي :رشيد الدين الوطواط وانتاجه الأدبي ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،اداب عين شمس ،1989م ،ص9

[2]عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص40

[3]اتسز :كلمة تركية معناه من لا اسم له ،ات :الإسم ،سز :أداة التجريد وقد جرت العادة عن الترك ان من يموت بنوه يسمى واحد منهم بهذا الإسم حتى يعيش ولا يهلك ،انظر ،النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص34

[4]ابن الأثير :المصدر السابق ،ج8 ؛ص184

[5]عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص40

ممتلكاتهم[1] فثارت ثائرة السلطان سنجر .و في سنة 533هـ/1138م و لإيقاف هذا التحدي الصادر من ربيعة أتسز الذي لا يخرج عن كونه تابعا له فأرسل إليه محذرا اياه من سوء أعماله غبر أنه تجرأ و ألقى برسل السلطان في الحبس أيضا[2] و أغلق الطرق المؤدية إليه من خرسان كما أغرق كافة الأراضي المحيطة بمعسكره لبضعة فراسخ[3] مما اضطر السلطان سنجر الى التقدم إليه عن طريق الصحراء مما جعل سيره بطيئا للغاية ، وكانت غاية السلطان منح اتسز مهلة من الوقت كي يراجع نفسه غير أن اتسز ظل متمسكا بموقفه و حصل اشتباك الطرفان في معركة حامية اسفرت عن هزيمة نكراء لاتسز و جيشه فقتل الكثير منهم من بينهم ابنه[4] فحزن عليه اتسز حزنا عظيما و شديدا[5].

و في سنة 533هـ/1138م الاخر منها غادر سنجر خوارزم و أسرع اتسز عائدا الى خوارزم ثانية فهرع اليه سكانها الذين ساءوا أعمال جيش سنجر فأعانوه على التخلص من سليمان شاه فقوى أمر أتسز فقام بمهاجمة بخارى في سنة 534هـ/1140م07 تعهد فيها أن يبقى على طاعته فتمكن من كسب رضا السلطان و الاحتفاظ بملكه في خوارزم.

و في سنة 533هـ/1138م الاخر منها غادر سنجر خوارزم و أسرع اتسز عائدا الى خوارزم ثانية فهرع اليه سكانها الذين ساءوا أعمال جيش سنجر فأعانوه على التخلص من سليمان شاه فقوى أمر أتسز فقام بمهاجمة بخارى في سنة 534هـ/1140م07 تعهد فيها أن يبقى على طاعته فتمكن من كسب رضا السلطان و الاحتفاظ بملكه في خوارزم[6].

[1] شبولر بارتولد :تاريخ تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ،تر:صلاح الدين هاشم ،د.دن ،د.ب ،1981م ،ص484

[2] ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،راجعه وصححه :محمد يوسف الدقماق ،ج9 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1987م ،ص309

[3] عباس إقبال :تاريخ إيران بعد الإسلام ،تر :محمد علاء منصور ،دار الثقافة للنشر ،القاهرة ،1989م ،ص267

[4] ذكر بارتولد ،اسم ابنه قد ورود في اكثر من صورة ايلع وابل قتلع وذكر انه قتل بامر من السلطان سنجر وان رأسه أرسلت على الفور الى بلاد ماوراء النهر دون ذكر السبب ،انظر ،شبولر بارتولد :المرجع السابق ،ص485

[5] عبد الرحمان ابن خلدون :العبر وديوان المبتدأوالخبر في أيام العرب والعجم والبربر ،تح :سهيل زكريا ،دار الفكر ،بيروت ،2000م ،ص132

[6] عبدالنعيم حسنين :دولة السلاجقة ،د.دن ،القاهرة ،1985م،ص102

غير أنه لم يلبث أن حنث بهذه خلال أشهر ، وقد ذكر القزويني أن اتسز قد أطلق على نفسه لقب السلطنة وحذف اسم السلاجقة من الخطبة و السكة في سنة 535هـ/1140م أي في نفس العام الذي بعث فيه برسالته الى سنجر و كانت فاجعة ابنه ملأت قلبه كرها و حقدا على السلطان سنجر و في سنة 538هـ/1141م انحدرت حربية السلطان سنجر تدريجيا و هزم على يد الاتراك الخطا ومن هنا حمل اتسز راية التمرد و العصيان مرة اخرى[1] مستغلا ضعف سنجر و انشغاله فزحف اتسز بجيشه الى خراسان فقصد مدينة سرخس في ربيع الأول من سنه 536هـ/1141م زمنها اتجه الى مرو عاصمة السلطان[2] عندها قصده أحد أئمتها ليتشفع لأهل مرو و قبل أتسز شفاعته[3] و لكن سرعان ما ثار عامة مرو على خوارزم شاه ، كما خرج اصحابه من مرو و استعدوا لمواجهته فعندئذ ثارت حفيظة اتسز و استشاط غضبا فدخل مرو و قتل الكثير من اهلها و فيهم العديد من الفقهاء و الأعيان ثم غادر و معه عددا من علمائها و في نفس السنة وجه أنظاره الى نيسابور و بدأ يبحث عن أموال أصحاب السلطان فنهبها و قطع الخطبة باسم السلطان سنجر ثم سار الى بيهق و أقاموا بها خمسة أيام يقاتلون أهلها فتمكن من الاستيلاء عليها و غيرها من خرسان[4] وعندما عاد الى خوارزم أنشد شاعره رشيد الدين الوطواط[5] في تهنئته على جلوسه على العرش قائلا:" عندما ارتقى الملك اتسز و انتهى أمر دولة سلجوق و اله"[6] و بقيت العلاقة بين اتسز و سنجر مرة صلح و مرة حرب الى ان توفي اتسز بالمرض بجنوشان[7] في جمادى الاخر من سنة 551هـ/1156م ليلحق به سنجر و بوفاته انتهت القوة السلجوقية تماما من بلاد فارس و خرسان.

---

[1] عبد الله رازي :تاريخ كامل ايران ،د.دن ،طهران ،1994م،206

[2] الحسيني :زبدة التواريخ اخبار الأمراء والملوك السلجوقية ،تح :محمد نور الدين ،د.دن ،الكويت ،1985م،ص187

[3] ابن الأثير:المصدر السابق ،ج9 ،ص323

[4] عبد النعيم حسنين :المرجع السابق ،ص102

[5] الوطواط :سمي بها الإسم لنحافة جسمه ،انظر ،احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص22

[6] محمد كمال الدين حلمي :السلاجقة في التاريخ والحضارة،د.دن ،د.ب ،د.ت،ص42

[7] جبوشان :احدى مدن خراسان ،انظر ،شبولر بارتولد:المرجع السابق ،ص481

ح–حكم أيل أرسلان :

بعد وفاة اتسز تولى ابنه أيل أرسلان[1] فقتل جماعة من أعمامه و يعد من أول السلاطين الخوارزميين المستقلين ، فقام بالاستيلاء على بعض مناطق خراسان و أقيمت له خطبة في جرجان و دهستان وفي الجانب الاخر حاول أيل أرسلان صد عدوان الخطا الوثنيين الذين اعتدوا على ديار المسلمين ، وبعد عودته من قتال الخطا أصابه مرض ثم وافته المنية سنة 568هـ و عقب ة فاته حدثت فتنة عظيمة بين أبنائه اذ تولى زمام الامور بعده ابنه الأصغر السلطان شاه محمود و لكن أخاه الأكبر علاء الدين لم يرضى بذاك فعمد الى إخراج أخيه من خوارزم و استمرت الحرب بينهما سجالا حتى وفاة السلطان شاه محمود سنة 589هـ[2]

ج–حكم علاء الدين تكش :

واستتب الأمر لعلاء الدين تكش الذي بدأ يواصل سياسة أسلافه التوسعية على حساب دولة السلاجقة المنهارة فاستولى على الري سنة 588هـ وفي نهاية الأمر عمد على اسقاط دولة السلاجقة بقتل اخر سلاطينها طغرل بك بن أرسلان السلجوقي سنة 590هـ.

ولم يتوقف به الأمر عند هذا الحد بل وصل الى همذان و أرسل الى الخليفة العباسي يطلب السلطنة وأن يصلح دار السلطنة لينزل بها و يحكم ولم يرض الخليفة الناصر بذلك[3] ، وفي سنة 594هـ تمكن من انتزاع بخارى من الخطا بعد حروب طويلة و بذلك استطاع علاء الدين أن يكون دولة كبيرة مترامية الأطراف تولى زمامها بعد وفاته سنة 596هـ ابنه قطب الدين الذي تلقب بلقب ابيه علاء

[1] كلمة أيل لفظ تركي معناه ولاية وأرسلان معناه أسد ،انظر،النسوي :سيرة السلطان ،34

[2] ابن الأثير :المصدر السابق ،ص6

[3] الذهبي :العبر في خبر من غير،تح :ابوهاجر محمد زعلول ،ج3،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1405هـ،ص98

الدين[1] الذي بدأ يواجه أخطار خارجية تهدد هذا الكيان الكبير الذي أسسه والده علاء الدين تكش تمثلت هذه الأخطار في كل من الدولة الغورية و الخطا[2].

خ- حكم علاء الدين محمد خوارزم شاه :

رقي علاء الدين محمد خوارزم شاه[3] عرش الدولة في 20شوال 596هـ الموافق ل 23 نوفمبر 1200م عرف بلقب قطب الدين قبل وصوله الى الحكم و هو الذي عظم في ملوك هذه الدولة شأنه ة كثرت جيوشه و أعوانه وشاع الملوك ذكره وعم المماليك نهيه و أمره ، واجتمع في ملكه ما افترق لغيره من الممالك و تسهل لديه ما شسع على من سواه من المسالك و دان لطاعته ملوك الاقطار فتساوى عنه الامر و المأمور و المالك و المملوك[4] ، وذكر النسوي : في تاريخه أنه ضم الى ورثه من أبيه من ملك خرسان و خوارزم و العراق و مازندان[5] وضم الى هذه الوساطة كرمان و مكران و كيش و سجستان و بلاد الغور و غزنة و باميان[6]،الى ما يليها من الهند باغوارها وأنجادها والسيوف مهملة في اغمادها و العواتق معطلة في نجادها ن ملكها بالهيبة عفوا صفوا عن الخطابية

وغيرهم من ملوك الترك و القروم[7] ما وراء النهر ما يقارب اربعمائة مدينة و خطب له على منابر فاس وأران وأذربيجان الى مايلي دربند شروان.[8*]

---

[1]عبد الرحمان ابن خلدون :المصدر السابق ،ج5 ،ص295

[2]الذهبي :دول الإسلام ،تح :محمد شلتوت ،مصطفى إبراهيم ،ج2،هيئة المصرية العامة للكتاب ،د.ب،1984م،ص111

[3]علاء الدين :هو علاء الدين محمد بن تكش بن أرسلان بن اتسز بن محمد بن أنوشتكين الملقب بخوارزم شاه تولى الحكم من596هـ-1200م/617هـ-1220م ملك من حد العراق الى تركستان توفي سنة 617هـ،انظر ،النويري :نهاية الأرب في فنون الأداب ،تح :د/نجيب مصطفى فواز ،حكمت كشلي فواز ،ج27،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،د.ت،ص143

[4]النويري :نفسه ،ص144

[5]مازندان :ولاية طبرستان ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5،ص

[6]باميان :بلد بين بلخ وغزنة وبها قلعة حصينة ومنها أبو بكر محمد علي بن احمد الباميانى المشهور من اهل العلم،انظر ،ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج2 ،ص4

[7]قروم:جمع القرم والسيد العظيم في قومه ،ابن المنضور :لسان العرب ،د.دن ،بيروت ،1388هـ/1986م،ص33

[8]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص36-37

[*]انظر الملحق رقم 2،ص2

1-لمحة عن توسعات علاء الدين :

أ-حرب علاء الدين على هندوخان :

قام علاء الدين محمد بالاتصال بأخيه علي شاه بأصفهان يستدعيه للقدوم اليه بعد وفاة والدهما فتقدم اليه بعدها عينه رئيسا للجيش الموجه الى الحرب في خرسان و عينه على نيسابور أما عن اخيه ناصر الدين ملكشاه المدعو هندوخان فقد خلف عمه علاء الدين محمد خوارزم شاه[1] فهرب و نهب الكثير من خزائن جده تكش لأنه كان معه عند وفاته وقد اتجه هندوخان الى مرو. فأعد عمه علاء الدين محمد جيشا لمحاربته بقيادة جعفر التركي فلما سمع هندوخان بمسيرهم اليه هرب من خراسان واتجه الى غياث الدين الغوري يستنجد به على عمه فأكرم لقائه و انزله و قطعه ووعده النصرة[2] في الوقت الذي وصلت فيه قوات جعفر التركي الى مرو و قبضهم على والدة هندوخان و اولاده و ارسلوا الى علاء الدين في خوارزم ، وقد تحرك غياث الدين من أجل انجاد هندوخان فقام بالاتصال بمحمد بك جربك أمير الطلقان[3] يأمر بان يقوم بتهديد جعفر التركي قائد القوات الخوارزمية فلبى طلبه و خرج من طلقان و استولى على مرو و أرسل الى جعفر يأمره بإقامة الخطبة بمرو لغياث الدين الغوري او يخرج من المدينة ،لكن جعفر كاتب ابن جربك سرا و طلب منه أن يحصل عل الامان له من غياث الدين الغوري هذا المطلب تأكد من ضعف علاء الدين بن محمد الخوارزمي لان قائده جعفر انحاز الى غياث الدين فتشجع بذلك الى تجهيز قواته الغورية للاتجاه صوب خراسان

[1] خوارزم شاه :لقب كان يلقب به ملوك خوارزم او أولادهم منذ القدم تبعا للتقاليد الفارسية الساسانية التي تلقب بعض ملوكها بلقب شاه مصحوبا باسم ذلك الأقليم او الولاية ،انظر ،البستاني :دائرة المعارف البستاني ،ج6د.دن ،بيروت 1956م ،ص268

[2] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص260

[3] الطلقان :اسم للبلدتين كبيرتين احدهما بخرسان بين مرو بلخ والثانية بلدة بين قزوين ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ص1،ص6

و الاستيلاء على املاك خوارزم[1]، وفي سنة 597هـ سار غياث الدين و ملك مرو و سلمها الى هندوخان بن ملكشاه و سرخس[2] و طوس[3] نيسانور و سلمها اخيع شهاب الدين

ب–حرب علاء الدين محمد مع الغورية و تحالفه مع الخطا :

بعد ان قسم الاملاك على كل من هندوخان و أخيه شهاب الدين اتجه غياث الدين ليستكمل تصفية أملاك الخوارزميين في فارس فاتجه الى مدينة قهستان و هناك علم ان اهلها إسماعيليين فقاتلهم و نهب أموالهم و من هناك اتجه الى كتاباد و حاصرها و خرج اهلها و سلمها للغوريين بعدها جاءته رسالة من أخوه يخبره و يمنعه من التعرض لهذه المناطق و أمره بالعودة الى الهند[4]، ومن هنا علم علاء الدين بعودة شهاب الدين الى الهند و كتب له معتبا إياه بقوله: "كنت أعتقد ان تخلف علي بعد الي و ان تنصرني على الخطا و تردهم عن بلادي فحيث لم تفعل فلا أقل من أن تؤذيني و تأخذ بلادي و الذي أريده أن تعيد ما أخذته مني و إلا انتصرت عليك بالخطا و غبرهم من الاتراك"[5].

وقد حاول غياث الدين ان يتلكأ في الرد على الشاه خوارزم شاه حتي يضيع الوقت و يستطيع الاتصال بأخو يتمكن من تجهيز العساكر و الجيوش لملاقات علاء الدين ، فاستاء خوارزم شاه من تصرفاتهم و صمم على اخراج الغورين من المناطق التي استولى عليها و ساعدته في ذلك الظروف المحيطة بالغوريين على تسهيل مهمته اذ توفي احد الاخوان و هو غياث الدين في 559هو لم يقوى أخوه شهاب الدين على الاحتفاظ بما في يده من الممتلكات الخوارزمية فاستعاد خوارزم شاه املاكه الخراسانية وذلك نحو 600هـ فاشتد شهاب الدين نفسه لمقامة علاء الدين وقاد حملة في نفس السنة منتهزا مجود علاء الدين في خراسان و لكن حملته باءت بالفشل و ذلك لاستعانة علاء الدين محمد

[1]عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص100

[2]سرخس :مدينة قديمة من نواحي خراسان هي بين نيسابور ومرو ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج4،ص208

[3]طوس :مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور حوالي عشر فراسخ ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق،ج4،ص49

[4]المؤيد إسماعيل أبو الفدا :المختصر في اخبار البشر ،ج3،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،د.ت ،ص100

[5]ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص256

بقبائل الخطا وسحقه قوات شهاب الدين و استولى علاء الدين على مدينتي بلخ[1] و الهراة عام 602هـ واستولى على مازندان في بحر قزوين[2]

ت –تحالف عثمان خان مع علاء الدين ضد قبائل الخطا :

بعدها التفت السلطان نحو الشرق و كانت قد أثقلته الجزية السنوية التي كان يدفعها شاهات خوارزم

للخطا[3] البوذيين و من هنا طلب عثمان خان صاحب سمرقند مساعدة علاء الدين على قتال الخطا كانوا يغيرون على تركستان و بلاد ما وراء النهر فكتب اليه يقول " ان الله اوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك و كثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين بلادهم من أيدي الكفار و تخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الاموال و نحن نتفق معك على محاربة الخطا و نحمل اليك ما نحمله اليهم من اموال و نذكر اسمك في الخطبة و السكة"[4]"

وقد أجابه خوارزم شاه الى ذلك فأولى أخاه لي شاه على طبرستان فضلا عن جرجان[5] و بعدها توجه الى قتال قبائل الخطا فالتقى الطرفان و دارت المعركة فيما بينهم وقتلوا قبائل الخطا من الجيش الخوارزمي وقد وقع خوارزم شاه اسيرا الا انه خلص نفسه من الاسر بعدها عاد بحملة كبيرة لمحاربتهم

[1] بلخ :مدينة بخراسان العظمى وسمتها بعض المصادر بالإسكندرية لأن الإسكندر الأول من قام بفتحها،انظر اليعقوبي :فتوح البلدان ،د.دن ،د.ب ،د.ت ،ص50

[2] حافظ احمد حمدي :المرجع السابق ،ص24

[3] الخطا :قبائل تركية اسيوية بدوية هاجرت من موطنها في شمال الصين في منتصف القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي الى غرب إقليم تركستان الذي كان يعاني من ضعف وقامة العديد من التوسعات وعرفت دولتهم بالقراخطائيين وامتدت من بلاد القرغيز شمالا الى بلاد بلخ جنوبا ومن خوارزم غربا الى صحراء جوبي جنوبا وترأسهم بي لوتاسي ،انظر ،عبد الرحمان ابن خلدون:المصدر السابق ،ج5 ،ص 137-141

[4] النويري :المصدر السابق ،ج27 ،ص101-102

[5] جرجان :مدينة عظيمة بالقرب من طبرستان بناها يزيد بن الملهب ،انظر القزويني:المصدر السابق ،ص348

من جديد حتى تمكن من ازالة دولتهم و ذلك سنة 606هـ/1209م[1] و استولى على بلاد ما وراء النهر و أخضع لسلطانه مكران و كرمان[2]

ث–دولة خوارزم في اوج عظمتها والتوسع :[*]

لم يقف خوارزم شاه علاء الدين عند هذا الحد في توسعاته بل ظل يواصل سياسته في التوسع و ضم ما يمكن الاستيلاء عليه من الاقاليم المجاورة وفي سنة 611هـ/1214م بسط نفوذه على الساحل المطل على المحيط الهندي الذي يظم ميناء هرمز التجاري و استولى على الاقاليم الواقعة غرب نهر السند[3] و بعد هذا الاستيلاء صار الطريق مفتوحا أمامه للاستلاء على حاضرة الدولة الغورية ، مدينة غزنة فحاصرها حتى سقطت بيده سنة 612هـ/1215م و أمر حكامها أن يخطبوا لعلاء الدين خوارزم شاه و يضربوا السكة باسمه سنة 613هـ/1216م و نصب ابنه جلال الدين منكبرتي[4] على غزنة وبعدها مد حدود بلاده الى مدينة كابل على نهر السند[5]

ويذكر النسوي : وفي عهده اتسعت الدولة الخوارزمية التي امتدت من حدود العراق غربا الى حدود الهند شرقا و من شمال بحر قزوين و بحر ارال شمالا الى الخليج العربي و المحيط الهندي جنوبا[6].

و من أهم المدن التي ضمها مدينة بخارى[7] التي اشتهرت بعلمائها و فقاهتها : ومدينة سمرقند التي اشتهرت بأسواقها و حدائقها كما ضم مضيق هرمز أكبر الثغور التجاري. كما ساعدها موقعها الجغرافي و حدودها السياسية أن تسيطر على مفاتيح الطرق البرية للتجارة الآسيوية.

---

[1] نافع توفيق العبود :المرجع السابق ،ص37-38

[2] كرمان :ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وحراسان ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج4،ص404

[*] انظر الملحق رقم 3،ص3

[3] احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص35

[4] منكبرتي :معناه هبة من السماء او مبعوث السماء ،انظر ،النسوي :نفثة المصدور ،ص100

[5] نفسه :ص36

[6] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص49

[7] بخارى :مدينة عظيمة مشهورة ما وراء النهر وهي مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء،انظر ،القزويني :مصدر سابق ،ص515

ج- هجوم علاء الدين على بغداد :

أدى اتساع أملاك الدولة الخوارزمية و سلطانها الى طمعه حيث وجه أنظاره الى الجهة الغربية الى أراضي الخلافة العباسية التي كانت انذاك تحت حكم الخليفة الناصر لدين الله 575-622هـ و كان هذا الخليفة يدرك أن الخلافة العباسية أصبحت ضعيفة من الناحية السياسية اذ انها صارت منحصرة في العراق الغربي و خوزستان و أصبحت عاجزة عن بسط سيطرتها على الاقاليم المجاورة فلم يبقى للخليفة الا السلطة الدينية.

وقد حاول الناصر لدين الله أن ينهض بدولته و يوسع حدود رقعتها على حساب السلاجقة الذين لمس ضعفهم و انقسام دولتهم فعقد أمله على دولة خوارزم شاه[1] التي كانت تربطهم في النصف الاول من حكم علاء الدين خوارزم شاه علاقة حسنة على وجه العموم و كان السبب في ذلك يعود الى انشغال هذا الاخير بمشاكله الداخلية و حروبه مع الغوريين و الحطائيين فلم يرغب الدخول في صراع مع الخلافة العباسية بل العكس من ذلك نجد أن كلا الجانبين قد تبادلا الرسل بهدف تحسين علاقتهما[2] الا ان هذه العلاقة الحسنة سرعان ما تبدلت و تغيرت بتغير الاهداف و الاطماع ، اذ تبين أن الدولة الخوارزمية تطمع للتوسع في بغداد لم يكن وليد عصر السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه و انما اتضح ذلك منذ عهد أبيه السلطان تكش فقد ادعو أحقيتهم في هذه البلاد و طلبوا السيطرة على بغداد و احلال اسمهم محل أسلافهم السلاجقة في الخطبة و نقش اسمهم على السكة الى جوار اسم الخليفة وطلب السلطان تكش من الخليفة أن يعيد دار السلطنة في بغداد الى ما كانت عليه أيام السلاجقة حتى اذا ما حضر بغداد و خلعت عليه السلطنة أقام في الدار وأصبح الخليفة العباسي من تحت يده[3].

---

[1] احمد عودات :تاريخ المغول والمماليك ،دار الكندي إربد ،د.ب ،1990م ،ص14

[2] احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص30

[3] تاج الدين السبكي :طبقات الشافعية ،ج1 ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت ،ص330

حاول السلطان الخوارزمي تنفيد سياسته في استعادة أمجاد السلاجقة في بغداد بالطرق السلمية و الدبلوماسية و عندما فشل في ذلك لجأ الى الأسلوب العسكري مصمما على غزو بغداد بالقوة متذرع بالحجج التالية:

1-أراد علاء الدين محمد خوارزم شاه أن يأتمر الخليفة العباسي بأمره وأن تذكر الخطبة باسمه في بغداد كما كان الوضع عهد البويهيين و السلاجقة لذلك نجد أن علاء الدين قد أرسل أحد رجاله المقربين و هو القاضي مجد الدين عمر بن سعد الخوارزمي الى بغداد غير مرة يطالب بحق الخوارزميين في إقامة الخطبة له في بغداد و كتب السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه الى الخليفة الناصر لدين الله بذلك يقول: "كن معي كما كان الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقية كألب أرسلان ملكشاه وأقربهم لنا عهدا السلطان سنجر فيكون أمر بغداد و العراق لي و لا يكون لك الا الخطبة "[1] فأبى الخليفة العباسي ذلك وأذكره.

2-شعر السلطان بأن الخليفة الناصر لدين الله يحتقره ويعامله معاملة سيئة اذ أنه أهان رسله عندما قدموا له العلم و الهدايا التي أهداها للحجاج في حين أنه قبا العلم و الهدايا التي وصلت اليه من جلال الدين حسن الاسماعيلي المشهور بأبو مسلمان رحب برسوله وقدم هذه الهدايا على هدايا خوارزم شاه[2] ودافع من تقديم قافلتهم على أصحاب السلطان الخوارزمي ، لان الخليفة أراد ان يجعل اعتناقهم للمذهب السني مشهورا و معلوما على نطاق واسع بين الناس هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كانت قافلة صاحب الاسماعيلية ضمن حجاج أهل العراق أي ضمن قافلة الخليف و نفسه[3].

[1] سعد الغامدي :أوضاع الدول الإسلامية في المشرق ،مطبعة الرياض ،1981م،ص330

[2] لسمارائي وأخرون :تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي 132هـ-656هـ،دار الكتب للطباعة والنشر ،د.ب ،ط1،د.ت،ص251

[3] ابن كثير :المصدر السابق ،ج7 ،ص41

3-محاولة علاء الدين أن يختلق الأسباب لمعاداة الخلافة العباسية ومنها أن الخليفة العباسي قد خطب لولده الظاهر بولاية العهد 585هـ/1189م[1] إلا أنه أسقط الخطبة له سنة601هـ/1204م و لما اسقط خطبته على سائر الأفاق رفض خوارزم شاه اسقاطها وقال: "قد صح عندي توليته ولم يثبت موصى عزله وجعل ذلك حجة لضرب العراق بالعساكر ليرد خطبته"[2]

4-عندما سيطر الخوارزميون العاصمة الغورية سنة 611هـ/1214م[3] ووضع السلطان محمد خوارزم شاه يده على خزائن شهاب الدين الغوري عثر على رسائل رسمية من الخليفة يحثه فيها على مهاجمة السلطان محمد و القضاء عليه وقد لبى الغوريون نداءه وحاربوا السلطان[4].

5-تحريض الخليفة المماليك المجاورة ضد علاء الدين فقد حرض القراخطائيين وأظهر الاستعداد للتحالف معهم و مساعدتهم كما حرض عليه أتابكة[5] فارس و أذربيجان وزيد لهم الاستيلاء على العراق العجمي من الخوارزميين كما تحالف مع الاسماعيلية للغرض نفسه[6]

ج-هجوم علاء الدين على العراق العجمى :

في سنة 614هـ/1617م وجه علاء الدين جيشه الى بغداد والتقى مع الأتابك سعد بن زنكر في أراضي العراق العجمى و انتصر عليم واسره و انتصر أيضا على أتابك أذربيجان و اوزبك ابن بهلوان ومن نتائج هذه الحملة أنه وطد نفوذه في العراق العجمى و استولى على الري و همذان و قزوين

---

[1] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص169

[2] ابن كثير :المصدر السابق ،ج7،ص12

[3] طارق لطفي سلطان :التاريخ السياسي في العصر العباسي (334هـ-656هـ)،مطبعة ابن الأثير للطباعة والنشر ،د.ب ،ط2،د.ت،ص251

[4] بن تغري بردي :النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج6،سلسلةتراثنا لمؤسسة المصرية العامة للتاليف والطباعة والنشر ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،د.ت ،ص260

[5] الأتابكة :كلمة تركية مكونة من كلمتين هما أتا بمعنى الأب او الشيخ وبك بمعنى الأمير فهي اصطلاحا تعني مربي الأمير او المدبر المملكة وتطلق أحيانا على أمراء الجيش فيلقب باتابك العساكر ،انظر ،احمد السعيد سليمان:تاصيل ماورد في تاريخ الجبرتي ،دار المعارف، القاهرة ،1986م ،ص13

[6] احمد عورات :المرجع السابق ،ص15

تأييد علاء الدين لحركات التمرد و العصيان ضد الخلافة العباسية[1]، في رأي السلطان علاء الدين أن الخلفاء العباسيين قد تقاعسوا عن إعمال الجهاد وقيام بالغزوات و تركوا الجهاد في سبيل الله و تراجعوا عن حماية ثغور المسلمين و قمع أرباب الفتن و البدع و الضلالات و هذا واجب من واجبات اولي الامر[2] و على هذا الاساس قام علاء الدين بعزل الخليفة الناصر و وقف الخطبة في بلاده

و كل هذه الأسباب المجتمعة سواء صحت عناصرها او هناك بعض منها قد دس للخليفة الناصر لدين الله فقد قرر الخوارزمي مواجهة بغداد لا سيما عند قضائه على العوائق التي تعترض توجهه في بغداد وقد أرسل الخليفة الناصر الشيخ شهاب الدين السهر وردي[3] لطلب الصلح لكن السلطان الخوارزمي رفض عرضه و صمم على دخول بغداد منطلقا بجيشه من همذان

-الترتيبات التي أعدها السلطان قبل الغزو المغولي :

انفرد المؤرخ النسوي في سيرته للسلطان جلال الدين منكبرتي في كلامه عن الاستعدادات و الترتيبات التي بدأها السلطان علاء الدين قبل خروجه الى العراق ، وقد كانت الممتلكات واسعة جدا فإنه لم يكن من اليسير السيطرة عليها فقام بتنظيم شؤون الادارة و الحكم فقسم دولته الى أربعة ولايات وهي:

1-القسم الشرقي: يضم مدينة غزنة و باميان و حوض نهر السند و هذا الجزء كان من نصيب الابن الاكبر جلال الدين منكبرتي

2-القسم الشمالي: و يضم خوارزم و خراسان ومازندان و كان من نصيب ابنه وولي عهده قطب الدين أوزلا غ شاه

[1] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص142

[2] العريني :المرجع السابق ،ص111

[3] شهاب الدين السهر وردي :كان من كبار الصوفية الإضافة الى هذا كان يمتاز بصحة الراي وصدق الحكم كان أستاذ الشاعر الفارسي الكبير سعدي الشيرازي ،توفي 622هـ/1234م ،انظر :بروان تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي الى السعدي ،تح إبراهيم امين الشواري ،د.دن ،القاهرة ،1373هـ/1954م ،ص631-632

3-القسم الغربي: يشمل العراق وكان من نصيب غوشايجي [1]

4-القسم الجنوبي : ويشمل كرمان و مكران و كانت من نصيب غياث الدين بيرشاه ، وبعد كل هذه الترتيبات اتجه صوب العراق ناحية الخلافة العباسية في بغداد و يؤكد النسوي أن السلطان علاء الدين محمد سير أمامه من العساكر ما عضت به البيداء وضاقت برحبها عن ضمها الغلال[2] وتقدم بالجيش الى قلعة أسد اباد[3]و لكن حدثت مفاجئة مناخية و غضبت الطبيعة على جيشه و نزول الثلج على جنوده كما تعرض لهجمات سكان المناطق الجبلية لغارات الأتراك و الأكراد مما اضطره العودة الى بلاده[4].

-المغول على التخوم الدولة الخوارزمية :

بعد استيلاء علاء الدين على ممالك الخطائيين و استأصل منهم شأفتهم و أخذ ممتلكاتهم و أزال هذه الدولة سنة 607هـ/1210م ومنذ ذلك الحين أصبحت الخريطة السياسية التي تناقش الأحداث عليها تشمل دولة المغول في الشرق و بينا وبين أراضي الخلافة تقوم الدولة الخوارزمية و إلى الغرب من أراضي الخلافة تمتد بلاد الشام التي بدأت تشهد صراع أمراء البيت الأيوبي بالإضافة الى بقايا الصلبيين في مصر التي انتهت دولة الايوبيين فيها و تسلم الحكم من بعدهم المماليك ، حيث أصبحت الدولة الخوارزمية وجها لوجه مع دولة المغول في الشرق[5]، ويرى الباحثون أن الدولة الخوارزمية قد ارتكبت خطأ كبيرا عندما استولت على دولة الخطا التي كانت بمثابة سد المنيع بينها و بين دولة المغول في الشرق حيث أصبح الطريق مفتوحا أمام المغول نحو العالم الاسلامي و لا يفصلها عن

[1] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص71-72-73

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص74

[3] أسد أباد :هي منطقة في همذان ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج1،ص176

[4] السيوطي :تاريخ الخلفاء ،دار الفجر ،القاهرة ،ط1، 1999م،ص449

[5] فؤاد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ج1،ص68

الخلافة الا الدولة الخوارزمية [1] ، ويرجح الباحثون أن السلطان تكش والد علاء الدين محمد عندما كان يدفع الجزية لدولة الخطا التي بلغت ثلاثين الف دينار من الذهب سنويا لم يكن من باب الضعف بل مان عن حكمة سياسية و دراية وتجربة خاصة ان الدولة الخوارزمية في ذلك الوقت بلغت من القوة و السيطرة مبلغا تستطيع به ان تمتنع عن دفع الجزية[2] و يبدوا ان سياسة التوسع التي انتهجها السلطان علاء الدين قد خلقت لديه ازمة مع جيرانه إضافة الى ذلك وضع أسباب للاستلاء على الخلافة العباسية كما أنه أعلن ان العباسيين مغتصبون للخلافة و أنه احق منهم بها ، بعدها اعتنق مبادئ الشيعة وقام بعزل الخليفة من الخطبة و أعلن عن خليفة جديد و هو رجل علوي من مدينة ترمذ[3] اسمه الملك فنادى به الخليفة و خطب له على المنابر و ضربت السكة باسمه[4].

و من المرجح أن خوارزم كان يهدف لاستمالة الشيعة في المنطقة لمساعدته في مخططاته خاصة شيعة العراق ، وتدخلت السفارات عند السلطان علاء الدين الخوارزمي و لكن ذلك لم يثنيه عن غزو بغداد[5] وتحرك بجيش جرار قدره اليافعي بأربعمائة ألف فارس[6] و لكنه لم يستطع غزو بغداد وسبب ذلك الأحوال الطبيعية و يبدو أن هذه الحادثة كان لها أهمية كبيرة حيث كانت عاملا قويا في إشاعة البيت العباسي مؤيد من السماء خاصة وأن الخليفة كان دائما يعتقد ذلك[7] .

---

[1] فتيحة التيراوي واخرون :قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته بين الماضي والحاضر ،الأسكندر منشأ عارف "1983،1م،ص66-67

[2] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص4

[3] ترمذ :مدينة مشهورة من أمهات المدن تاراكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي ،انظر،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج3،ص176

[4] علاء الدين عطا مالك الجويني :تاريخ جهانكشاي ،نشر وصحح محمد القزويني ،ج2،لندن ،1355هـ-1937م،ص97

[5] ابن تغري بردي :المصدر السابق ،ج6،ص219--220

[6] اليافعي :مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ،وضع حواشيه :خليل المنصور ،دار الكتب العلمية ،د.ب ،1417هـ/1997م،ص24

[7] الذهبي :تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تح :عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط1،1419هـ/1991م،حوادث سنة651هـ-660هـ،ص26

كما أن هذه الأزمة استنزفت طاقات الدولة الخوارزمية و الخلافة العباسية التي حشدت كل طاقتها للمواجهة[1] مما سهل مهمة المغول باجتياح الدولتين فيما بعد ، ومن هنا فإن الديبلوماسية الاسلامية كانت غير موفقة في تلك المرحلة اذ لو يتمكن الخوارزميون و العباسيون في بناء علاقة وطيدة و تحالف فيما بينهم كما لم يوفق الخوارزميون في كسب ثقة القوى الاسلامية القريبة منهم و يبدا أن الجهود كانت مبعثرة يعوذها التنسيق.

1-علاء الدين محمد خوارزم شاه و المغول:

في عام 612هـ/1215م كانت جيوش المغول قد دخلت بكين عاصمة أعظم قوة في الشرق في ذلك الوقت و سيطرت عليها ، وبدأ جنكيز خان زعيم المغول يهتم بالبناء الداخلي[2] فعمل على تنشيط التجارة الخارجية خاصة بعد حملاته على الصين و حالات الخراب و الدمار و الحرق التي أحدثتها الحروب فكانت المدن و القرى الكبيرة هناك بحاجة ماسة الى الحبوب خاصة في منغولياً* يأتي التجار قادمون من الغرب منهم المسلمون[3] وعلى ذلك قام جنكيز خان بارسال السفارة الى الدولة الخوارزمية لعقد معاهدة تجارية بين البلدين تهدف الى تأمين الطرق التجارية في المنطقة و كانت السفارة تحمل معها رسالة خطية من السلطان جنكيز خان الى السلطان الخوارزمي و استخدم جنكيز خان مصطلح الابن للسلطان الخوارزمي حيث خاطبه بانه كالابن لجنكيز خان[4] ويرى أحد المؤرخين أن هذه الرسالة كانت أول تهديد مبطن من المغول للدولة الخوارزمية و يرى المؤرخ الأجنبي شبولر: أن

---

[1] اليافعي :المصدر السابق ،ص24

[2] م.م ا لرمزي :تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع فزان وبلغار وملوك التتار ،علق عليه ووضع فهارسه :شمس الدين ،منشورات محمد علي بيحون ،لنشر كتب السنة والجماعة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1423،1هـ/2002م،ص354

* انظر الملحق رقم 4-5،ص4-5

[3] العريني :المرجع السابق ،ص116

[4] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص83-84

استخدام المصطلحات مثل الابن سمة من سمات التعبير اللغوي في هذا العصر وهو يعبر عن صلة الحاكم بالمحكوم[1]

فقد كانت لهذه الرسالة أثر سيء على السلطان الخوارزمي خاصة أنه كان عائدا من حملته الفاشلة الى بغداد التي تحطم فيها جزء عظيم من قواته وعتاده[2] واعتبر هذه الرسالة أنها تحمل معاني التهديد و الوعيد

يذكر النسوي أن السلطان علاء الدين قرر احضار التاجر الاول محمود الخوارزمي و قال له " إنك رجل خوارزمي و لابد لك من المولاة قينا و ميل ووعده بالإحسان أن صدقه فيما يسأله وأعطاه من معضدته جوهرة نفيسة علامة للوفاء بما وعده ، وشرط عليه أن يكون عيناه على جنكيز خان[3]

و يوضح النسوي: أن موافقة التاجر محمود الخوارزمي على القيام بهذه المهمة لم يكن الا رغبة و رهبة و بدأ السلطان يسأل التاجر عن جنكيز خان و كيف تجرأ على مخاطبته بالولد فلما أحس التاجر بغضب السلطان مال الى الاسترحام وبدأ يحقر له عدد جيش جنكيز خان[4]

و يقول بارتولد : أنه من المشكوك فيه كثيرا أن يكون جنكيز خان قد دبر ذلك كما يقول لإسخاط خوارزم شاه بحيث يجعل الحرب بينهما أمرا لا مفر منه مهما يكن فإن القطيعة بين هذين الحالمين لم يكن بسبب هذا الحادث و يقال ان محمد خوارزم شاه كظم غيظه خلال مقابلته للوفد الذي أرسله الخان ولو يبح بذلك ألا في الليلة التالية لرسوله وقد يلقى منه تفسيرا مرضيا لهذا الامر ثم صرف الرسل بعد أن رد عليهم ردا حسنا[5]

[1] شبولر برتولد :تاريخ الترك في اسيا الوسطى ،تر :احمد سليمان ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د.ب،1996م ،ص42

[2] ابن كثير :المصدر السابق ،ص76

[3] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص84

[4] نفسه ،ص85

[5] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص167

و استطاعت السفارة ان تعقد معاهدة مع الدولة الخوارزمية في سنة 615هـ/1218م عقدت اتفاقية بين الدولتين على السماح للتجار التنقل بين الدولتين ، وما صدر من العاهل المغولي من تعهدات بأنه لم يخرق العهد و الميثاق حتى ولو حرق بالنار ما لم ينقضه خوارزم شاه ، فضلا عن وجبة الهدايا العظيمة التي أرسلها جنكيز خان للسلطان ، واستمرت المعاهدة سارية المفعول لثلاث سنوات[1]

و في فترة السلام هذه حدثت حادث و اثرت على العلاقات بين القوتين فقد خرج ثلاثة من التجار الخوارزميين الى اقصى الشرق حيث معسكرات المغول و بلاط جنكيز خان يحملون معهم البضائع من الثياب المذهبة و الكرباس[2] وغير ذلك ، وقد حفرهم حراس الطرق و قادهم الى بلاط جنكيز خان بعد أن وقفوا على ما معهم من السلع و عرفوا أن مع أحدهم يدعى أحمد من الثياب ما يليق بمقام جنكيز خان ، فلما مثل هذا الرجل بين يدي الخان طلب أثمان باهظة لبضاعته فخنق عليه و اغتصب بضاعته ووزعها على حاشيته ، وبعدها مثل التاجران الاخران امام جنكيز خان و لم يطلبوا ثمن لبضاعتهم و قالو أنها هدية فرضي عنهم جنكيز خان و أمطرهم بالذهب و الفضة وعفى عن التاجر الثالث وأعطاه ثمن لما كن يحمله و قام جنكيز خان بإكرامهم[3]

ولما قرر مغادرة البلاد قرر جنكيز خان أن يختار كل أمير مغولي و كل قائد من قواده واحد أو اثنين من أتباعه لتكون قافلة تحمل الأمتعة المختلفة و تصحب هؤلاء التجار الخوارزميين الى ممالك السلطان لتبادل التجارة هناك ، وتكون الوفد المغولي من اربعمائة و خمسين فردا[4] و خمسمائة من الابل و حمل هؤلاء التجار رسالة الى السلطان قال فيها : "إن التجار وصلوا إلينا وقد أعدناهم إلى مأمنهم سالمين

[1] م،م الرمزي :المرجع السابق ،ص354

[2] الكرباس :لفظ فارسي معرب معناه الثوب الخشن ،انظر ،احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص69

[3] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص168

[4] يذكر ابن العبري ان عددهم بلغ مائة وخمسين شخصا فقط من جميع الأديان دون تفرق ،ابن العبري :تاريخ مختصر الدول ،وضع حواشيه :خليل المنصور ،محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1418،1هـ/1997م،ص400

غانمين و قد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الطرائف فينبغي أن يعودوا الينا امنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحم مواد النفاق من ذات البين."[1]

ويذكر النسوي أن هؤلاء التجار كانوا أربعة فقط هم عمر خواجة الأتراري و جمال المراغي و فخر الدين الدنمركي البخاري و أمير الدين الهروى[2] .

2-حرب علاء الدين وجنكيز خان :

كان هذا الاحتكاك بين المغول و الخوارزم شاه أمرا محتوما و لاسيما بعد مجاورة جنكيز خان وحصل ما يمكن اعتباره سببا مباشرا لاشتعال فتيل الحرب بين الطرفين خاصة بعد قضاء جنكيز خان على خصمه اللدود كشلوخان[3].

وصلت القافلة التجارية الى مدينة اوترار على نهر سيحون مفتاح التجارة بين شرق اسيا و غربها وكان يحكم هذه المدينة ينال خان في عشرين الف فارس ينوب عن السلطان بها فارتاب منهم ينال خان وكتب للسلطان يخبره عن أمرهم فطلب منه أن يتريث حتي يخبره ماذا يفعل بهم ، لكن ينال خان قام بالقبض عليهم و قتلهم.

يذكر النسوي ، الذي تحامل كثيرا من النائب ينال خان[4] أن نفسه سهرت الى أموال أولئك التجار ، لذلك كتب الى السلطان الخوارزمي يبلغه بأن هؤلاء القوم الذين قدموا الى الأترا[5]ر في زي التجار

---

[1]فؤاد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ج1،ص103

[2]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص85

[3]كشلوخان :هو ابن الملك نيمان كان عدو لدود لجنكيز خان وقد استمر حكمه لخطائيين بين سنتي 1211م-1218م،انظر ،المدائني :فصل من نهج البلاغة حملات الغزو المغولي للشرق ،تح :مختار جبلي ،دار مارتون ،باريس ،1990م،ص35

[4]ينال خان :ذكر النسوي انه ابن خال السلطان ، اما السيوطي والديار بكري قالوا أنه كان خال السلطان علاء الدين وليس ابن خاله ،انظر ،السيوطي :المصدر السابق ،ص311،ديار بكري :المصدر السابق ،ص286

[5]اترار :جاء في معجم البلدان أطرار وهي اسم مدينة الواقعة على نهر سيحون مفتاح التجارة بين شرق اسيا وغربها ،انظر ، ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج 1،ص176

ليسوا تجار وإنما جواسيس و بدأ يلفق لهم التهم في أنهم كانوا اختلوا بأحد العامة يهددونه بقولهم "إنكم لفي غفلة مما ورائكم و سيأتيكم ما لا قبل لكم به"[1]

ويذكر ابن الأثير تناقض النسوي حيث يقول " أن حاكم أوترار قد أرسل الى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم و يذكر له ما معهم من الأموال ،فبعث إليه خوارزم شاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال وإنقاذا اليه "[2]

ويؤكد الجوزجاني رأي ابن الأثير في أن الخليفة أمر نائبه الحاكم على مدينة أوترار بأن يقتلهم جميعا و يحوز على سلعهم[3].

وهناك رأي اخر للمستشرق الانجليزي و المؤرخ ساووتدرز يقول:" بأن حيل جنكيز خان الخادعة و دهائه الماكر لم يعد يخفى أمر على أحد فأصبح معروف و على نطاق واسع ، فلم يفت على السلطان الخوارزمي أن يشك في أنه يخفي الجواسيس تحت زي تجار سالمين لذلك فقد شكت حكومة السلطان الخوارزمية في حقيقة أمر تلك القافلة التجارية التي وصلت الى أترار ذلك المركز الهام الواقع على حدودها الشمالية الشرقية و أن ما تدعيه من أن هدفها كان تجاريا لم يكن الا ظاهريا يخفي وراءه عن ذلك ، و عليه فقد أقدمت السلطة الحاكمة هناك على القبض عليهم و الحكم عليهم بالموت[4].

و على كل حال قتل التجار و الحجز على القافلة جميعا و استطاع أحد افراد القافلة الخلاص بنفسه ليبلغ ما حدث لجنكيز خان ثم أرسل الى السلطان الخوارزمي بأنه قبض على جماعة من الجواسيس بزي التجار وضح له الأمر فأصدر السلطان أمرا بقتلهم جميعا.

---

[1] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص86

[2] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص331

[3] الغامدي :المرجع السابق ، نقلا عن الجوزجاني،طبقات ناصري ؛ج1،ص258

[4] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص170

ويذكر ابن الأثير أنه يحمل السلطان علاء الدين الخوارزمي كامل المسؤولية حيث يروي أن السلطان هم من أصدر أمرا بمصادرة أموال التجار و إرسالها إليه وأمر بقتلهم ثم باع السلع لتجار بخارى و سمرقند[1]

وذكر النسوي أن الذي انتفع بهذه الأموال ليس السلطان محمد و انما نيال خان وتفرد المذكور بتلك الاموال المعدة و الأمتعة المتضادة مكيدة منه و غدرا و كان عاقبة أمره خسرا[2].

وعلى اثر ذلك ارسل جنكيز خان سفارة للسلطان الخوارزمي تحمل الرسالة احتجاج على هذا العمل يذكر النسوي :" إنك أعطيت خطك و يدك بالأمان للتجار الا تتعرض أحد منهم فغدرت و نكثت و الغدر قبيح من سلطان الاسلام أقبح فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمر صدر منك فسلم ينال خان الي لأجازيه على ما فعله ، حقنا للدماء و تسكين للدهاء و الا فأذن بحرب ترخص فيها غوالي الارواح[3].

و يؤكد ابن الكثير ان جنكيز خان قام بإرسال سفارة تحمل رسالة الى خوارزم شاه لتسوية الازمة حيث يطلب فيها محاكمة حاكم أترار و القصاص منه داخليا أي في الدولة الخوارزمية و لم يطلب تسليمه للمغول و لكن خوارزم شاه قام بقتل رجال السفارة[4].

و يذكر ابن الاثير ،رسالة أخرى لجنكيز خان بعد قتل التجار "تقتلون أصحابي و تجاري وتأخذون مالي منهم ،استعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم فيه[5] .

[1]الجويني :المصدر السابق ،ج2،ص61

[2]ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص331

[3]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص87

[4]ابن الكثير :المصدر السابق ،ج13،ص119

[5]ابن الأثير :المصدر السابق ،ص363

-تحليل الرسائل :

وهذه الرسائل التي أوردها عدد من المؤرخين لا تتناقض مع بعضها البعض و ذلك ظاهر من نص الرسالة:*

فالرسالة التي يوردها النسوي يبدوا واضحا فيها من سياق النص أن هناك مراسلات قبلها خاصة عندما تأخذ " فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه ينال خان من غير أمر صدر منك "[1] ، هنا يظهر واضحا أن هناك رسالة كانت من السلطان الخوارزمي الى جنكيز خان يبرر ساحته و يلقى التهمة على حاكم أترار ينال خان فيرد عليه جنكيز خان بتسليم ينال خان للقضاء المغولي.

أما رسالة ابن الكثير يرجح أنها كانت الرسالة الأولى من جنكيز خان و هي عبارة عن رسالة استيضاح لما حدث ،حيث يطلب جنكيز خان من السلطان الخوارزمي فتح تحقيق في القضية و خضوع الجاني للقضاء الخوارزمي و يطلب منه استنكار ما حدث.

أما الرسالة التي يوردها ابن الأثير فمن المرجح أنها كانت اخر رسالة لأن فيها إنذار بالحرب خاصة بعد قتل السلطان الخوارزمي رسل جنكيز خان و تظهر الرسالة قصيرة و مقتضبة.

بذلك يكون خوارزم شاه قد قطع بذلك كل أمر ممكن في التفاهم مع المغول وأصبحت الحرب بين الطرفين أمرا لا مفر منه و بهذا جر السلطان الخوارزمي على نفسه و على العالم الاسلامي الدمار و الخراب و يقول الجويني : "إن كل قطرة من دماء هؤلاء التجار قذ أجرت نهرا من دماء المسلمين و كان القصاص لكل شعرة مئات الألاف من الرؤوس[2]" ، وقبل أن نسرد تفاصيل هذا الغزو و حملة جنكيز خان على الدولة الخوارزمية التي مفتاحا لغزو العالم الاسلامي و قلبه النابض بغداد فهذا مؤرخنا الكبير ابن الأثير: يعبر عن خاطرته حول هذا الموضوع قبا أن يسجل لنا أحداث الغزو يقول لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها ذكرها فأنا أقدم رجلا أؤخر

*أنظر الملحق رقم 6،ص6 لمقارنة الرسائل

[1]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص87

[2]فؤا عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ج1،ص87

أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام و المسلمين و من الذي يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت أمي لم تلدني و يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسيا منسيا[1].

3-استعدادات السلطان علاء الدين لمواجهة جنكيز خان :

بدأ السلطان محمد في إعداد جيشه فبدأ أولا في بناء سور على المدينة سمرقند يبلغ اثنا عشر فرسخا و شحنه بالرجال و المقاتلة و قام بتفريق العمال و الجباه في جميع أنحاء البلاد من أجل جمع الخراج عن العام ستمائة وخمسة عشر من أجل بناء السور ،و بعث بجباه اخرين الى بقية المماليك الاسلامية وأمرهم بجباية خراج ثالث في سنتهم تلك و أمر أن يستخدم بها رجال رماة مكملة العدة و يكون عدد الرجال كله جهة على قدر ما يحصل منها من المال قليلا كان أو كثيرا يكون لكل واحد منهم حمل يركبه و يحمل سلاحه و زاده[2] وقد اقترح الامام شهاب الدين الخيوفي الذي كان يعتقد فيه السلطان كثيرا بأن يرسل الرسل و الرسائل الى كافة البلاد لجمع العساكر و استنفار الناس للدفاع عن الاسلام و جمع التبرعات و المعونات لإيقاف عبور المغول نهر سيحون لكن أمراء الجيش لو يستحسنوا هذه الفكرة و رؤ أنه من الأفضل ترك المغول يعبرون نهر سيحون ثم اصطيادهم بعد ذلك في بلاد ما وراء النهر التي لا يعرفون مسالكها بل قطع المدد عنهم و إهلاكهم[3] ثم قام بتفريق عساكره بمدن ما وراء النهر و بلاد الترك و لم يترك بلدا من البلاد بما وراء النهر خاليا من عسكره[4].

أ-هجوم المغول على إقليم ما وراء النهر: (نهر سيحون)

في رجب 616هـ/1219م وصل جنكيز خان الى نهر سيحون على مقربة من مدينة أوترار و قسم قواته الى أربعة مجموعات عهد الى كل مجموعة بمهمة الاستيلاء على جزء من إقليم ما وراء النهر ، المجموعة الأولى قادها جغتاي و اوكتاي و يدعمهما قوة من الإيغوريين و مهمة هذه المجموعة

[1] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص91

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص89

[3] فؤاد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ج1،ص87

[4] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص91

الاستلاء على مدينة أوترار ، المجموعة الثانية بقيادة جوجي و مهمتها فتح البلاد الواقعة على ساحل نهر سيحون الذي يؤلف مجراه الحدود الشمالية للدولة الخوارزمية و خصوصا مدينة خجند ، المجموعة الثالثة بإمارة ثلاثة من كبار قواد المغول و كانت مهمتهم الاستلاء على مدينتي بناكت و خجند أما المجموعة الرابعة فقد كانت بقيادة جنكيز خان و ابنه تولوي و كانت وجهتها وسط مدينة ما وراء النهر و خاصة مدينة بخارى[1].

أما السلطان علاء الدين فلم يكن يدري بمخطط خصمه المغولي و لم يكن لديه خطة محكمة للتصدي لهجماته لذلك أمر القسم الأكبر من جيشه التمركز في القلاع على الحدود الشمالية من بلاده ، ووزع باقي جيشه على بين الحاميات مثل بخارى و سمرقند و كانت نتيجة هذا التوزيع إضعاف لقدرة الجيش الخوارزمي رغم تفوقه العددي على الجيش المغولي مما أدى الى سقوط المدن الخوارزمية الواحدة تلوى الأخرى.

في سنة 616هـ/1220م سقطت اوترار و قتل حاكمها ينال خان و أحدثوا فيها مجزرة رهيبة[2]

و في سنة 617هـ/ 1220م سقوط جند و في نفس السنة استولوا على بناكت و خجنده و بخارى[3].

وفي 617هـ/1220م تم استخلاص سمرقند.

و بسقوط سمرقند استكمل جنكيز خان سيطرته على كامل إقليم ما وراء النهر الذي كان بمثابة خط دفاع الاول للدولة الخوارزمية ، فانعكس ذلك سلبا على الخطط الدفاعية لعلاء الدين خوارزم شاه و تحطمت معنويات جنده مما سهل على المغول الاستيلاء على بقية الأقاليم الخوارزمية

[1] احمد حطيط :المرجع السابق ،ص31

[2] الجويني :المصدر السابق ،ج2،ص101-103

[3] نفسه ،ص105

و في ربيع الاول 617هـ/أيار1220م اجتاز الجيش المغولي نهر جيحون و استولى على مدينة أورجنح الحالية أوكركانج الواقعة قرب دلتا نهر جيحون على بحر أرال وأحدث فيها المغول مجزرة كبيرة و أحرقوها ، وفي عام 618هـ/1221م ثم تابعوا اخضاعهم لمدن الاقليم وفي أقل من أربعة أشهر كانت الدولة الخوارزمية قد دمرت تماما[1].

ويروي انا ابن الاثير عن جرائم المغول في المدن الخوارزمية حيث كانوا يقتلون جميع أهل المدينة و حتى يتأكدوا من موتهم جميعا كانوا يصنعون هرما من رؤوس الرجال و هرما من رؤوس النساء و ثالث من رؤوس الأطفال ، وفي بعض المدن مثل بخارى ذبحوا من ذبحوا و اخرجوا الناس و قسموهم بين جنودهم و فرسانهم فكان الاب من نصيب فارس و زوجته من نصيب فارس اخر و أبنائهم من نصيب اخرون وكان ذلك اليوم يوما فضيعا كان بكاء الناس يشق عنان السماء[2].

و يذكر النسوي ، أن في بعض المدن الخوارزمية كانوا يذبحون كما تذبح الخراف حيث يوضع الشخص على الارض و يسند بحجر صغير ثم يذبح ، و دمرت المكتبات وذبح العلماء[3].

قبل ذكر وفاة السلطان يجب أن نقف لطرح سؤال عن هذه الاحداث المؤلمة ،لقد كان المغول يتوسعون في أقصى الشرق حيث سهول الصيد الفسيحة .فما الذي حول وجهتهم للتوسع ناحية الغرب حيث العالم الاسلامي ؟ و من المسؤول عن ذلك؟

لقد حاول بعض المؤرخين القدامى و المحدثين صب اللوم على الخليفة العباسي الناصر لدين الله على أنه هو الذي حرض المغول على غزو الاراضي الخوارزمية و رأى أن جنكيز خان الذي صاع صيته في شرق اسيا و غربها هو الرجل الذي يستطيع ان يرد السلطان الثائر الى صوابه فلم يتردد في ان يستعين به على عدوه الخوارزمي[4].

---

[1] نفسه ،ص131

[2] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص333

[3] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص87

[4] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص157

و قد أيد ابن الأثير هذه الرواية بقوله "و قيل في سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك مما يذكر في بطون الدفاتر فكان مما نسيت أذكره فظن خير ولا تسأل عن الخبر[1].

و هناك من المؤرخين من فسروا القوا أيضا باتهام الخليفة الناصر و أيد ابو الفدا هذه الرواية كما أيدها المقريزي بقوله :"في خلافة الناصر خرب التتر بلاد المشرق حتى وصلوا الى همذان و كان السبب في ذلك ،فإنه كتب إليهم بالعبور الى البلاد خوفا من السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه ساهم بالاستيلاء على بغداد و أن يجعلها دار ملكه كما كنت سلجوقية[2] .

و هناك من المؤرخين المحدثين من يؤيد فكرة استدعاء الخليفة الناصر لدين الله للمغول ومنهم من يرفض هذه الفكرة مطلقا ، كذلك هناك مؤرخين مسلمين يؤيدون فكرة استدعاء الخليفة للمغول حافظ حمدي فيقول :" و لا يسعنا الا أن نصدق فكرة استدعاء الخليفة كان قاب قوسين أو أدنى من النزول وأن الخليفة لم يجد طريقا يوصله الى الحد من نفوذ الخوارزميين الا سلكه فحاك حولهم الدسائس والفتن[3] .

و ألب عليهم أعدائهم من العناصر المحيطة بدولتهم و أثار كل ذلك متاعب جمة للخوارزميين ،ولولا انشغال علاء الدين خوارزم شاه بتلك المتاعب لاستطاع الخوارزميون حتما ان يسقطوا الخلافة العباسية.

ويؤكد أيضا على فكرة استعانة الخلافة العباسية بالعناصر الخارجية .

حيث يرى حسن ابراهيم حسن ان الخلفاء العباسيين استخدموا هذه السياسة من قبل فراسلوا بني بويه ليخلصوهم من استبداد الاتراك و كتبوا الى طغرل بك السلجوقي ليخلصهم من تحكم

[1] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص157

[2] المؤيد إسماعيل ابوالفدا :المختصر في اخبار البشر ،ج3،ص143

[3] حافظ احمد حمدي :المرجع السابق ،ص41

اليساسيري حيث اراد تحويل الدعوة الى الفاطميين في مصر كما راسلوا خوارزم شاه ليقيهم شر السلاجقة[1] .

كما أيد هذه الرواية أيضا بعض المؤرخين الأوربيين مثل دوسون و هورث و يروان و كيرتن ،ميور و هارولد لام على ان الاخير انفرد بذكر الحقيقة التالية وهي ان الخليفة عرض جنكيز خان استعداده لمهاجمة الدولة الخوارزمية من المغرب اذا هو هاجمها من الشرق[2].

أما الدكتور القزاز فيرفض هذه الفكرة و يقول : " اني لا أتفق مع الذين ذهبوا تفسيرهم الى اتهام الخليفة الناصر لدين الله باتصاله بالمغول و دعوته لهم بمهاجمة الخوارزميين و يرى ان هذا التهام ينصرف الى تقصير الخليفة الواضح و عدم تقديره لمسؤلياته كخليفة للمسلمين و تقاعده المعتمد عن الخطر الذي هدد البلاد بعد ان اعماه الحقد على خوارزم شاه فسهل بذلك على المغول القضاء على هذه الامارة الاسلامية مع استحالة اتصاله بالمغول في ذلك الوقت[3].

من وجهة نظرنا ان الذي غزو المغول للعالم الاسلامي الى اتصال الخليفة بهم رأي غير مقنع من عدة وجوه :

1-فقد كان للمغول في ذلك معاهدة حسن الجوار مع السلطان الخوارزمي و معاهدات تجارية وقد ظهر كيف كان جنكيز خان حريصا على الالتزام بالميثاق و المعاهدات حتى و لو حرق بالنار ما لم ينقضه الخوارزميون[4].

2-من جهة اخرى خليفة بغداد كان يعلم جيدا أن الدولة الخوارزمية تعد سدا منيعا و خط دفاع الاول لبلاد المسلمين من الاعداء الوثنيين.

[1] حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والإجتماعي ،ج4،مكتبة النهضة ،القاهرة ،ط7، 1964،ص144

[2] حافظ احمد حمدي :المرجع السابق ،ص41

[3] القزاز محمد صلاح :الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخيرة ،د.دن ،بغداد ،1971م،ص28

[4] م.م الرمزي :المرجع السابق ،ص354

و لكن عند مناقشة قضية انهيار الدولة الخوارزمية بسرعة ملفتة للنظر أمام ضربات المغول و تحول المغول وجهة هذه الدولة فنرى ان الادارة الخوارزمية كنت قد تخبطت داخليا و خارجيا.

حيث قام السلطان الخوارزمي خارجيا للقضاء على جيرانه الغوريين و كذلك الخطائيين فتخلص من اهم حلفائه عند الشدائد خاصة الخطائيين الذين كانوا يمثلون فاصلا و سدا بينه وبين المغول.

كذلك فشلت الادارة و الدبلوماسية الخوارزمية في كسب ثقة الخلافة الاسلامية القوة الشرعية و الروحية للمسلمين كما فشلت في بناء تحالفات مع الكيانات الاسلامية الاخر.

كما ان القيادة الخوارزمية لازمة لأزمة التجار مع المغول كانت غير موفقة فالقيادة و الدولة الخوارزمية كانت يجب ان تحدد موقفها من جيرانها المغول هل هي تعدهم اعداء ام جيرانا و اذا كانوا أعداء كان لابد ان تبدأ في الاعداد و الاستعداد لأي هجوم من قبلهم و تعد نفسيا داخليا و خارجيا في المحيط الاسلامي و الدولي و سقوط الدولة الخوارزمية في عدة شهور أمام ضربات المغول رغم تفقها العددي[1]

أما اذا عدت المغول جيرانا عندها كان يجب أن تتعامل و تحافظ على حقوق الجوار ، ولو كان التجار جواسيس للمغول كما يعتقد فهناك طرق يتم فيها التعامل مع هذه الأزمة تضمن حق احترام الجوار ومن المرجح أن الخوارزميين كان باستطاعتهم في ذلك الوقت الإملاء على المغول لانهم مازالوا دولة قوية يحسب لها حساب في المنطقة فهي على الاقل أكثر حضارة و رقيا و المدنية من المغول ، كذلك عندما وقعت حادثة قتل التجار لم تستطع القيادة الخوارزمية معالجة الموقف بطريقة حكيمة و بدراسة مقارنة بين موقف جنكيز خان و موقف خوارزم شاه ، يظهر جنكيز خان بتصرفه و معالجته للقضية و ارساله سفارة احتجاج و استيضاح للأمور[2] شخصية سياسية محنكة وواعية أما خوارزم شاه فلم يستطع الخروج من هذه الازمة بل زادها تعقيدا بقتا السفراء

[1] الذهبي :تاريخ الإسلام ،ص950

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص87

و السؤال هنا هل كان بإمكان خوارزم شاه أن يسلم حاكم اترار؟ فإن كان بإمكانه فعل ذلك فلماذا لم يسلم حاكم اترار و يجنب البلاد الاسلامية هذه الحروب المدمرة ؟ يبدوا ان هناك سببا لعدم تسليم خوارزم شام حاكم اترار ينال خان اذ أنه ابن أخ تركان خاتون والدة السلطان و قد كانت لها شخصية قوية و من قبيلة متنفذة و لها سيطرة كبيرة على الجيش[1] ربما لو فعل السلطان ذلك لتعرض لثورة من الجيش او من خاصته ،كذلك ربما اعتقد السلطان الخوارزمي أنه اذا سلم ينال خان سيكون قد أقريا بضعفه امام القوة الجديدة في المنطقة ومن المرجح ان السبب هو الذي دفعه لقتل الرسل لذلك يحمل كثير من المؤرخين خوارزم شاه مسؤولية زحف المغول لدولة خوارزم خاصة ان سياسة خوارزم شاه الداخلية كانت هشة و ممزقة غير مؤهلة لصد العدوان بقوة المغول.

حيث اقدم خوارزم شاه على تصرفات أضعفت تمسك شعوب هذه الدولة بقيادتها و من هذه التصرفات إجبار العلماء على اصدار الفتاوى ضد الخليفة و قتل بعضهم مثل الشيخ مجد الدين البغدادي[2] مما سبب نقمة و سخطا في صفوف علماء خوارزم على السلطة وأخذ بعضهم يتضرع الى الله بإزالة ملك خوارزم شاه[3] و يبدو أن الدولة الخوارزمية في تلك الحقبة قد خسرت أهم العناصر المؤثرة في المجتمع الاسلامي عندما تسلطت على العلماء و استخدمت أسلوب الجبر معهم مما أدى الى ضعف سلطتهم و غياب دورهم في تحريض المجتمع على صد العدوان الخارجي ومن المرجح أن هذا كان له أثر في عدم صمود الخوارزميين أمام ضربات المغول.

ويحمل بعض المؤرخين الغربيين خوارزم شاه المسؤولية بقتله للتجار و يعدونه المسؤول الاكبر لعدم صموده في وجه المغول مما أغرى المغول في التقدم حيث انتعشت امالهم[4] فالسلطان الخوارزمي ان لم يكن هو سبب الحرب فهو على الاقل عجل بقيامها[5] .

---

[1] الجويني :المصدر السابق ،ج2،ص61

[2] ابن الكثير :المصدر السابق ،}13،ص76

[3] م.م الرمزي :المرجع السابق ،ص350

[4] فامبري :المرجع السابق ،ص157

[5] عصام الفقي :الدولة العباسية ،مكتبة نهضة الشرق ،القاهرة ،1987م ،ص279

فنرى ان الصدام كان متوقعا بحكم التجاور بين الدولتين القويتين المغولية و الخوارزمية خاصة و ان سياسية المغول كانت مبنية على التوسع وضم الاراضي بالقوة بل إنهم كانوا ينتظرون الى بناء امبراطورية عظيمة لهم و لأبنائهم و يظهر ذلك من مقدمات رسائلهم للملوك* مثل "من كاتب رب السماء ماسح وجه الارض ملك الشرق و الغرب قان قان "[1]

لكن حادثة التجار في اترار قد عجلت بالصراع المسلح بين المغول و الدولة الخوارزمية.

3-وفاة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه :

انتهى المطاف بخوارزم شاه الى همذان في نحو عشرين ألف من جنوده وفي هذه الأثناء تمكن المغول من السيطرة على اقليم خوارزم و أهم ولايات الدولة و أسروا تركان خان والدة السلطان ومن معها من أبنائه و بناته فلما تقدموا الى جنكيز خان أمر بقتل أبناء السلطان و كانوا صغار السن.

وما كادت تصل هذه الانباء المفجعة الى السلطان حتى ازداد غما على غم و أصابه الحزن و الهم و كان قد انتهى به الفرار الى جزيرة صغيرة قرب الساحل الجنوبي الشرقي لبحر قزوين في قلعة هناك فسيطر عليه القلق و حلت به الامراض و لم تكف عيناه عن البكاء عن المجد الضائع و الرئاسة و السلطان ، ولما أحس علاء الدين ان المرض يشتد عليه يوما بعد يوم و ان أمه تركان خاتون قد وقعت أسيرة في أيدي المغول استدعى أبناءه جلال الدين و ازلاغ شاه و اق شاه ووكل أمور دولته الى ابنه جلال الدين بعد ان اعلن انه هو الوحيد الذي يستطيع حماية الدولة الخوارزمية و ما قاله هذه العبارة ذكرها النسوي :"ان عرش السلطنة قد انقصمت و الدولة قد وهنت قواعدها و تهدمت و هذا العدو وقد تأكدت أسبابه و تشبثت بالملك أظفاره و تعلقت انيابه و ليس يأخذ بثأري منه الا ولدي منكبرتي و ها انا موليه العهد فعليكما بطاعته[2]"

*انظر الملحق رقم 7،ص7

[1]ابن كثير :المصدر السابق ،ج13،ص76

[2]النسوي:سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص46

و بعد أن قضي علاء الدين في هذه الجزيرة شهرا وفته المنية و دفن بها سنة 612هـ/1221م ، و مما يؤسف له ان اتباعه عجزوا على ايجاد كفن يكفنونه به حتى شمس الدين محمود و كان من المقربين اليه خلع قميصه و كفنه[1] ، ويروي السيوطي أنه كفن بشاش فراش كان معه[2].

و قد نعاه النسوي يقول له :

أذل الملوك مصادر القروم وصير كل عزيز ذليلا

وحف الملوك به خاضعين وزفوا اليه رعيلا رعيلا

فلما تمكن من أمره مصارت له الارض الا مليلا

و أوهمه العز ان الزمان اذ رامه ارتد عنه كليلا

أتته المنية معتاظه و سلت عليه حساما صقيلا

فلم تعن عنه حماة الرجال و لم يجد قيل عليه قتيلا

كذلك يفعل بالشامتين و يفنيهم الدهر جيلا فجيلا[3]

أما ابن الوردي فيقول :

و فارق المسلمين أوطانه و ملكه مثخنا بالمرض

وكم حوى من جوهر مثمن فما فدى الجوهر هذا العرض[4]

[1]النسوي :نفسه ،ص48

[2]السيوطي :المصدر السابق ،ص113

[3]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص

[4]ابن الوردي: المصدر السابق ،ص100

و يذكر المدائني : أن وفاته بقيت حالة مشتبهة ملتبسة لم تتحقق على يقين و بقي الناس بعد هلاكه نحو سبع سنين ينتظرونه و يذهب الكثير منهم الى أنه حي مستتر الى ان ثبت عند الناس كافة أنه هلك[1].

و يذكر الذهبي :أن سبب وفاة السلطان أنه أصيب بالإسهال وطلب الدواء فأعوزه الخبر فمات[2]

و بذلك الت السلطة في الدولة الخوارزمية الى ابنه جلال الدين منكبرتي.

4-تعريف السلطان جلال الدين منكبرتي :

أ-نشأته :

جلال الدين و الدنيا أبو المظفر منكبرتي ابن السلطان علاء الدين خوارزم شاه أرسلان ، ابن الملك اتسز بن محمد توشتكين الخوارزمي و أمه هندية الاصل تدعى اي جيجياك و كان أكبر اخوته[3]

ب-صفاته وشجاعته :

يقول النسوي "كان أسمر قصيرا ،تركي الشارة و العبارة ،وكان يتكلم بالفارسية أيضا" قال عنه موفق بن عبد اللطيف :" كان أصفرا نحيفا أمه هندية و كان يلبس طرطورا فيه من شعر الخيل مصيغا بالألوان".

و قال عنه النسوي :" أما شجاعته فحسبك منها ما أوردته من وقائعه فكان أسدا ضرغاما ، أشجع فرسانه إقداما و كان حليما لا غضوبا و لا شتاما ، وقورا لا يضحك الا تبسما و لا يكثر كلاما ،و كان يحب العدل"[4]

[1] المدائني :المصدر السابق ،ص46

[2] الذهبي :تاريخ الإسلام ،ص70

[3] محمد بن عثمان الذهبي :سيرة اعلام النبلاء ،ج22،مؤسسة الرسالة ،د.ب ،1422ه/2001م،ص372

[4] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص386

أما ابن الأثير " كان جلال الدين سيء السيرة ، قبيح التدبير لملكه ، لم يترك احدا من الملوك المجاورين له الا عاداه و نازعه الملك و اساء مجاورته"[1]

جنكيز خان :لقد أعجب جنكيز خان بجلال الدين من شجاعته وإقدامه فالتفت جنكيز خان الى أولاده مخاطبا إياهم :"إن أبا مثل ابيه محمد خوارزم شاه ليس جدير بمثل هذا الإبن "[2]

سبب ذم ابن الأثير لجلال الدين يعود الى ان هذا الأخير ينتمي الى الدولة العباسية التي كانت تربطها علاقة غير جيدة مع سلاطين الدولة الخوارزمية ،فلهذا نجد ابن الأثير يتحامل كثيرا على جلال الدين

د–شخصية جلال الدين منكبرتي عند المستشرقون :

قال عنه بروان : أنه بطل قومي تتعلق به الأمال في ساعة اليأس[3]

وقد ذكر دوستان أن جلال الدين يتمتع بشخصية المقاتل في المعركة فقد قام بأعجوبة من أعاجيب بطولته التي ذاع صيتها و انتشر خبرها عندما قام بأعجوبة من أعاجيب بطولته التي ذاع صيتها و انتشر خبرها عندما قام المغول بقيادة جنكيز خان و أبدى ضروبا من الشجاعة و الجلد عندما اشتبك معهم مكابدا إياهم خسائر فادحة و عندما أيقن جلال الدين أنه خسر المعركة امتطى صهوةجواده وعبر نهر السند[4].

في حين قال عنه فامبري : انه تحمل مسؤولية الثأر من المغول لكن لم يلقى عنده سوى السيف و الصولجان و حينما بدأ يجمع قواه و يعد الجنود و يهيئم للمقاومة اصطدم مع المغول في معارك كبدتهم خسائر جسمية فأثار بذلك قلق جنكيز خان و سخطه وقد نعته بالبطل[5].

---

[1]ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص230

[2]أمنيوس فامبري :المرجع السابق ،ص177-178

[3]عكاشة ثروت :إعصار من الشرق جنكيز خان ،دار الشرق ،بيروت ،ط5، 1992م،ص221

[4]بروان :المرجع السابق ،ص570

[5]أمنيوس فامبري :المرجع السابق ،ص177-178

و يستطرد المستشرق بارتولد فيتحدث عن جلال الدين ذاكرا : أن جلال الدين حصل على مكانة عالية و ان الروايات المغولية في القرن الثالث عشر تذكر جلال الدين بأنه بطل الا أن الروايات المغولية نفسها لم تذكر أبوه على الرغم من أنه مؤسس الدولة الخوارزمية[1] ،ثم يتكلم عن شخصه فيقول ان شخصية جلال الدين شخصية قوية وهو قائد محنك دائما تراه يقف موقف المدافع عن المشرق الاسلامي[2] ، ويضيف أن مجرد ذكر اسم جلال الدين عند كل مواجهة مع المغول تنتفض روح المقاومة لدى المسلمين ، فيحاولون الرد على المغول و خاصة ما حصل عندما هدم الثوار الجسر المقام على نهر أمودريا بجيحون[3] ، في حين نرى أن المستشرق بروان ، يقف الى جانب جلال الدين لأنه رأى فيه قائد يتمتع بشخصية لامعة تسطع لحظة قصيرة كالشهاب الثاقب و البرق الخاطب ثم تخمد و ينطفئ أنواره أن ينتج أثرا و يجدي نفعا[4].

و–حياته :

كانت حياة جلال الدين منحصرة في الفتح و الغزو فقد أمضى إحدى عشر سنة في الكر و الفر في أيام حياته الأخير أصبح مدمنا و محبا للملذات من سمات نقصه فلم يقلع عن تعاطي الشراب بالتزامن مع الخطر و الحوادث و لم يكن يعرف حدا في التعلق بالنساء حتى في الوقت الذي يقترب العدو منه اذ كان يجلس في مجالس الشراب و التسلي خاصة في أيامه الاخيرة التي كان المغول قد تقصوا أثره فيها ، فقد كان ينتقل من مكان الى اخر يمحوا غم الايام بشراب الخمر فيبدل سوء الحوادث في وهم المزاج الى ما هو جميل و هذا ما أدى بأحد أرباب الكمال في نظم جيد فقال عنه:

يا أيها المليك كيف يكون النهوض من الخمر التقبل و كيف يكون النهوض من السكر المتصل

فالملك ثمل و الدنيا خراب و العدو شاخص واضح ماذا سيكون من هذا الخصم.

[1] شبولر بارتولد :المرجع السابق ،ص603-604

[2] نفسه ،ص628-629

[3] نفسه ،ص632

[4] بروان :المرجع السابق ،ص569

هـ–خبرته العسكرية وتكوين الجيش :

كان لدى جلال الدين حس القائد العسكري المتمكن اذ كان دائما يعارض والده بخصوص خططه العسكرية خاصة في عهد المغول فكان يقول لوالده "إن توزيع الجوش على الأقطار و الهرب من الخصم الذي لم تقابله بعد دليل الذليل ، لا سبيل صاحب الدولة النبيل[1].

كان يملك ثقافة عسكرية واسعة لأنه خاض العديد من المعارك فكان خير من دافع عن حياض الاسلام في وجه الكفار الوثنيين ، وقد حاول جلال الدين التصدي و مقاومة المغول لولا الفتن و الاضطرابات التي ابعدته عن مواجهة حقيقية ضد المغول[2]، و لكن رغم هذا كان يعوزه التنظيم و التدقيق الشامل في جميع المعارك التي خاضها كما أنه ينقصه التدبير اذ أنه لم يحاول طول فترة حكمه أن يهتم بإدارة شؤون الدولة كما أنه كان غافلا عن الوسائل اللازمة لإعداد الجيش[3] ، كذلك لم يعمل على التقرب من رعاياه و لم يبذل جهدا في سبيل كسب صداقة جيرانه من حكام المسلمين و إنما كان يحكم بالسيف دائما في تصريف الأمور و كان همه مصروفا للكر و الفر و الفتح و الغزو و في سبيل هذا الهدف عمد الى تسخير كل موارد الدولة و أهمل الاصلاح الداخلي[4].

إن جلال الدين كان أكثر حكمة و دراية بأمور الدولة الخوارزمية من أخويه اللذين انغمسوا بالفتن الداخلية و النزاع بخصوص المكاسب و السلطة[5].

–تكوين الجيش :

بعدة وفاة السلطان محمد علاء الدين خوارزم شاه اتجه جلال الدين الى مدينة نسا و لكن بعد هجوم المغول تركها و غادر الى نيسابور و منها الى غزنة وكان جلال يحكم هذا الاقليم من قبل أبيه وعند

[1] الجويني :المصدر السابق ،ج2،ص35

[2] الجويني :نفسه ،ج2،ص37

[3] فؤاد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ج1،ص175

[4] أبا الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص383

[5] الجويني :المصدر السابق ،ج2،ص36

وصوله الى غزنة رحب به أهلها و انضمت تحت لوائه جموع كثيرة من مختلف الاجناس و بفضل شجاعته و بطولته أسرعت الجنود الخوارزمية المشتتة في كابل وبيشاور و غيرها من المدن الواقعة على حدود الهند الى الانضمام اليه و بذلك استطاع أن يجمع جيشا كبيرا بلغ ستين ألف المشاة و سبعين الف من الخيالة و بهذا يكون المنكبرتي اعد جيشه لمواجهة المغول[1] .

-أشهر قواده :

1-تاج الدين الخلجي: هو أحد قادة جيش جلال الدين منكبرتي ومن الذين بقوا معه بعد معركة السند و عبوره الى بلاد الهند و عاونه في حروبه هناك و اعادة تجهيز جيوشه لمعاودة مجابهة المغول[2]

2-بهلوان أوزبك : هو أحد قادة جيش جلال الدين منكبرتي و من الذين رافقوه في حروبه ببلاد الهند و كلمة بهلوان تعني البطل و هو ينتسب الى الأوزبك إحدى الطوائف التركية التي كانت ضمن طوائف الجيش الخوارزمي[3].

3-أوزخان : أحد الأمراء الخوارزميين التابعين للسلطان جلال الدين منكبرتي و من قادة جيشه و كان لهذا القائد الفضل في انقاذ جلال الدين من القتل على يد المغول و في أخلاط حيث سهل له الفرار من وجه المغول و تصدى هو لعرقلتهم عن مطاردته و قتله و مات في هذه المواجهة

4-خان ملك أو أمين الملك : أحد قادة جيش السلطان جلال الدين في حروبه مع المغول و كان ابن خال جلال الدين و هو الذي و لاه مدينة هراة في حروبه مع المغول قبل هجوم المغول على اقليم خراسان و قد انضم الى الجيش لمواجهة المغول عندما عاد جلال الدين الى هذا الاقليم لمجابهتهم[4].

[1] فؤاد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ج1،ص13

[2] عصام الفقي :الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،د.ط ،1987م ،ص306

[3] فؤاد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ص175

[4] عباس إقبال :المرجع السابق ،ص68

5-تاتار خان : هو أحد أتباع السلطان جلال الدين منكبرتي و يذكره رشيد الدين الهمذاني باسم بوقا خان و كان جلال الدين قد أرسله الى تبريز لاستطلاع أمر المغول فيها لكن غفلته جعلته يعود الى السلطان بأخبار خاطئة مما جعل السلطان يركن الى الدعة و الغفلة فباغته المغول في الأخلاط[1]

4-مقارنة بين جلال الدين منكبرتي ووالده:

أ-أوجه التشابه :

كلاهما كنا العداء للخلافة العباسية و أراد السيطرة عليها.

كلاهما لهم عداء مع جرانهم ولم تستطيعوا تكوين حلف لصد هجومات المغول.

كلاهما ركزا على الغزو و ضم الدول و توسيع الرقعة الخوارزمية على نشر الاسلام و رفع الراية الإسلامية.

كلاهما اعتمدا على النزعة العسكرية بدل النزعة السياسية التي كانت معتمدة لحل المشاكل و مواجهة الطرف الاخر.

ب-أوجه الاختلاف:

استطاع جلال الدين مواجهة المغول أكثر من مرة على عكس والده الذي اختار الهروب.

علاء الدين خوارزم شاه كانت له معاهدات مع المغول بخلاف ابنه منكبرتي الذي لم يستطع وضع معاهدات و مراسلات بينه و بين المغول.

جلال الدين لم يستفيد من أخطاء والده علاء الدين فقد بقي على خلاف الذي كان بينه و بين الدولة العباسية و لم يحاول كسبهم الى صفه من اجل محاربة المغول حتى الدول المجاورة ابقى على العداء في الوقت الذي كان يحتاج فيه الى دعم القوى الاسلامية من اجل التصدي للخطر المغولي.

[1]فواد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ص175

1–حروب جلال الدين :

أ–استعداده لمواجهة المغول :

بعد وفاة السلطان جلال الدين في الجزيرة المنعزلة في بحر قزوين عبر اولاده الثلاثة الى إقليم خوارزم حيث استقبلوا بمظاهر الفرح والسرور و قد وصف النسوي و صول جلال الدين منكبرتي و إخوته الى الاقليم فقال:" لما اندرج السلطان الى رحمة الله و دفن بالجزيرة ركب جلال الدين البحر الى خوارزم بأخويه اوزلاغ شاه و اق شاه.....و تباشر الناس بقدومهم تباشر من أعضل داؤه فطفر بدوائه ....و اجتمعت عندهم من العساكر السلطانية ..زهاء سبعة الاف فارس."[1] ، وقد استطاع جلال الدين و أخويه أن يجمعوا جيشا كبيرا لمواجهة المغول و لكن لسوء الحظ ان هذا الجيش كان يتكون من القبائل التركية التي تنتمي اليها تركان خاتون[2] و التي لم ترضى عن تولي جلال الدين الحكم بعد أبيه ، وقد أراد جلال الدين أن يخضع هذه الجيوش الثائرة بالقوة فتامروا على قتله و لم يجد مخرجا الا بالفرار و النجاة بنفسه من الهلاك ففر الى خراسان بصحبة ثلاثمائة فارس تحت إمارة تيمور لنك[3]حاكم المدينة ، وقد عبر منكبرتي هذه الصحراء التي تفصل إقليم خوارزم عن خراسان في ستة عشر يوما وصل بعدها الى الاراضي القريبة من مدينة نسا أما الجنود المتآمرة فقد بقوا في خوارزم بعد رحيل جلال الدين عنها و لكنهم ما لبثوا ان رحلوا أيضا الى خراسان بعد ان سار اليهم المغول برحيل جلال الدين عن الاقليم فقد ضاع اخر امل في انقاذه[4]

---

[1]النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص56

[2] تركان خاتون : الجلالية ابنة طعخاح حان من نسل خراسيات التركي هي زوجة ملكشاه والدة السلطان محمود بن ملكشاه كانت تتمتع بنفوذ كبير في دولته وجيشه ، النسوي : نفثة المصدور ،ص56

[3] تيمولنك :هو اول حاكم للعائلة التيمورية وكلمة تيمور تعني بالغة الأوزبكية الحديد ، ولنك يعني الأعرج ، انظر ، ابو طالب الحسيني :مذكرات تيمور لنك ،دين الملاح ،دار الكتب الوطنية ،د.ب، ط1،ص190

[4]احمد حافظ حمدي : المرجع السابق ، ص16

وبعد سماع جنكيز خان بوصول أبناء علاء الدين قام بإرسال جيشه بقيادة حوجي و حجتاي لفتح بلاد ما وراء النهر فقام الجيش بمحاصرة خراسان على الحدود الجنوبية للصحراء وقد عسكره سبعمائة فارس بالقرب من مدينة نسا و كان ذلك عندما قدم المنكبرتي اليها فأدى هذا الى اشتباكه مع المغول ثم فر الى نيسابور[1]

أما اوزلاغ شاه و اق شاه فكانا أسوء حظ من أخيهما جلال الدين اذ أنهما لما فرا الى خراسان لحق بهما المغول بالقرب من مدينة نسا فأرادا الاشتباك معهم الا أنهما هزما ووقعا في الأسر ، وقد قطع المغول رأسيهما و رشقوهما في سهمين ثم طافوا بهما في أنحاء المقاطعة إمعانا في السخرية بالخوارزميين.

ب–وصوله الى نيسابور:

لما وصل الى نيسابور اشتدت رغبته في الجهاد و بدأ يكاتب الامراء و الحكام و يحثهم على مساعدته بالرجال و العتاد وقد أقام بها مدة شهرا كاملا كان فيه دائم التفكير في العمل الذي كان مقبلا عليه[2]

و لما علم المغول بوجوده في نيسابور ساروا لملاقاته و لكنهم وصلوا الى هذه المدينة بعد رحيله منها بوقت قصير فتتبعوا أثره و لكن السلطان قام بمخادعتهم و بصرفهم عن طريقه فسير قائد من قواده في طريق اخر واستطاع هذا القائد بدهائه ان يجذب أنظار المغول فساروا في أثره و في ذلك الوقت عاد جلال الدين يسير بجيوشه في طريق اخر و بهذا نجحت خطة جلال الدين في مخادعة المغول و تمكن من الوصول الى مدينة زوزن.[3]

[1] نيسابور :بالفارسيه نيشابور هي مدينة في مقاطعة خراسان في شمال شرق ايران ، أنظر ، شهاب الدين ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج5 ،ص331

[2] احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص163

[3] احمد حافظ حمدي : نفسه ،ص182

قبل ان يلتقي جلال الدين مع جنكيز خان و محاربته ، كان هذا الاخير يظهر قوته و يحكم سيطرته على الدول في ما وراء النهر فقد كان يقتل و ينهب و يدمر كل منطقة يدخل اليها فسقطت بخارى و سمرقند بعد مقاومة بينهم فكان منهم الغريق و القتيل و الجريح و أخذ المغول الشباب ليستفيدوا منهم في الحرب و بسقوط هذين المدينتين سمرقند و بخارى تكون بلاد ما وراء النهر قد انضمت الى دولة المغول[1] ثم باغت المغول الري على حين غفلة من أهلها و نهبوها و ملكوها و سبوا نساءهم و قتلوا اطفالهم ثم توجهوا في طلب السلطان الخوارزمي ن وعاثوا في البلاد التي مروا بها نهبا و فسادا و أثار المغول الرعب في بلاد الدولة الخوارزمية حتى أن اقترابهم من أي بلدة يثير الرعب و الفزع في النفوس فيهجرون ديارهم او يقدمون فروض الطاعة و الولاء للمغول كارهين و قد يسر ذلك للمغول السيطرة على بلاد المسلمين.

بعد أن امتلك جنكيز خان بلاد ما وراء النهر و أذربيجان و الكرج و العراق العجمى شرع في السيطرة على خوارزم و خراسان حتى يتم بذلك امتلاك كل بلاد الدولة الخوارزمية و بدأ يسيطر على كل مدينة يدخل اليها فسقطت بلخ في حوزة المغول سنة 1220م و البلاد الخراسانية ثم مرو و نيسابور و استولوا على طوس و امتلكوا هراة و ساروا الى غزنة و هنا التقى الجيش المغولي بالسلطان جلال الدين في معركة حامية انتصر فيها السلطان منكبرتي[2]

وبعد وصول الجيش المغولي الى خوارزم لقي مقاومة باسلة من أهلها ودارت بين الفريقين معارك ضارية ،وبعد أن توجه جلال الدين الى غزنة رحب به أهلها خاصة بعد الانتصارات ضد المغول من جهة أخرى بلغ جنكيز خان ما حل بعساكره من نقمة في قندهار فوجه جيش كثيف تحت إمرة ابنه و استقبله جلال الدين بنية في الجهاد قوية و حمية في الاسلام أبية فتحكمت فيهم سيوف الابتقام

[1] عفاف سيد صبره : المرجع السابق ،ص220

[2] احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص195

فركب المنكبرتي أكتاف الغل يخطف بالقواطع علاوات الاخداع [1] و يفصل بالسيف مجامع الأكتاف فقد فجعوه بإخوته وأبيه و مملكته و ذويه فترك لا والد و لا مولود و لا عابد ولا معبود فقل جلال الدين و أسر الكثير من المغول فقد كانوا يدقون الأوتاد و أذانهم تشفيا منهم و جلال الدين يتفرج و وجه بالبشلشة يتبلج[2].

وبعد هذا وصلت الى بعض المدن الاسلامية مثل الهراة و مرو التي سقطت في ايدي المغول فتصوروا أن جلال الدين قد قضى نهائيا على المغول ، فبدأت كل مدينة تقوم على الحامية المغولية الموجودة بها تقتل و تطرد مما ادى بالمغول بالإجهاز على هذه المدن مرة أخرى خاصة الهراة التي قدم اليها جنكيز خان و استطاع الاستيلاء عليها و قتل أهلها ودمرها وخربها[3]

ج–هزيمة جلال الدين في نهر السند:

ولكن الانقسام ما لبث أن دب بين صفوف رجال الجيش وهذا بسبب النزاع الذي حصل بين قائدين من كبار قواده على حصان عربي كان كل منهما يريده لنفسه و كانت نتيجة هذا النزاع انسحاب القائد بجنوده الى مدينة بيشاور على حدود الهند و انضم إليه عدد كبير من الجنود الغورية من مدينة غزنة بعد أن خابت جميع جهود السلطان لإعادتهم و بهذا الانسحاب و جد السلطان جلال الدين أن جيشه أصبح مقصورا على الأتراك والخوارزميين بعد غياب الجيش الغوري أدرك أنه لم يعد قادر على مواجهة المغول فانسحب الى السهل الواقع غربي نهر السند بعدما علم بقدوم جنكيز خان الى غزنة لينتقم للهزيمة التي ألحقها به فعزم جلال الدين على جمع السفن ليعبرها هو و جنوده نهر السند عله يجد مأمنا في بلاد الهند ، الا أنه لم يجد إلا سفينة واحدة أمر أن تنقل فيها والدته و زوجته في هذا الوقت وصل جنكيز خان الذي كان يتحرق شوقا الى الثأر و قد كان الخوارزمي يحاول عبور

[1] الأخداع :عروق قي الرقاب ،انظر ، النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص144

[2] النسوي : نفسه ،ص156-157

[3] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص210-211

نهر السند فعلم جنكيز خان بذلك و سار اليه مسرعا و استطاع أن يحاصر السلطان و جيشه بين نهر السند من جهة و الجيوش المغولية من جهة أخرى ولم يبقى أمام جلال الدين الا أحد الأمرين ، الأول أن يبذل أقصى ما يستطيع من جهد فينتصر على المغول و الثاني إما الموت بسيوف المغول أو غرقا في نهر السند[1].

تلاقى الفريقان ووقف جلال الدين في قل من العدد ثم حمل بنفسه على قلب جنكيز خان فمزقه بددا و طرائف قددا وولى اللعين بنفسه هزيما حيث مركب النجا حرصا على النجاة هشيما و الهزيمة تستمر بأهل النار و قد كان جنكيز خان أفرد قبل اللقاء كمين وفيه عشرة ألاف فارس من نخب رجاله الملقبين بالبهادرية و خرجوا على ميمنة السلطان فانجلت المعركة عن قتلى مضرجين بالدماء أو غاطسين في الماء فلم يكن أمامهم مفر إما قتلى بالسيف أو غرقى في الماء[2]

وعند عودة جلال الدين الى ماء السند رأى والدته و أم اولاده و جماعة من حريمه يصحن " بالله عليك أقتلنا و خلصنا من الأسر فأمر بهن فغرقن .

أما العساكر الخلجية المفارقة لجلال الدين فقد استنزلهم جنكيز خان بعد فراغه من جلال الدين من عصم جبال و شم الأعلام و القلال و استخرجهم من بطون الغاب و أجواف الشعاب[3]

وفي وسط هذه الهزيمة التي لحقت بالمنكبرتي لو يبقى أمام هذا الأخير سوى الهرب الى بلاد الهند فألقى بنفسه في النهر و بمساعدة جواده استطاع النجاة ووصوله الى الضفة الشرقية و تتبعه جنوده ليصل جلال الدين و معه اربعة الاف من الجنود الخوارزميين الذين كانوا لا يملكون لباسا و سلاحا و كان هدفهم الاول البحث عن مأوى أمين يلجأون إليه بعد تلك الحرب التي عانوا منها ، واستطاعوا أن يغيروا على بعض بلاد الهند العامرة و أن ينهبوا منها ما وجدوه من ملبس و مأكل و سلاح و

[1] حافظ احمد حمدي : المرجع السابق ،ص186

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص159

[3] النسوي :نفسه ،ص159

غيرهمن الغنائم النفيسة ، وقد كانت هذه الأقاليم تحت حكم أسرات تركية عبرت الى هذه الجهات بعد سقوط الدولة الغورية.

في حين أخذ جلال الدين ينتقل بين هذه المدن لتكون وجهته فيما بعد الى مدينة دهلى ليتخذها ملجأ له بحكم بعدها عن الدولة الخوارزمية و بقي بها و استطاع تأسيس جيشه و العودة به الى إيران حتى يسترجع عرشه و مجده الضائع[1]

د–عبور جلال الدين الى الهند :

بعد أن زج جلال الدين بنفسه في الماء و عبر ماء السند ووصل الى الناحية الأخرى ، وبعد أن دخل ديار الهند و اختياره أبعد مكان فيها لتكون ملجأ له خاصة وان هروبه الى الهند لم يكن بالأمر الجديد على حكام إقليم غزنة فقد كانت البلاد الهندية مأوى للحكام من الأتراك الذين فروا إليها من قبل

وأصبحت بلاد الهند مأوى لجلال الدين و رجاله الا أن الخوارزميين لم يراعوا حرمة البلاد و صارت هناك خلافات بينهم و بين كثير من أمراء المناطق الهندية.

كان قباجة أحد الولاة التابعين للغور في بلاد الهند ،و قد بدأ التعامل بين قباجة و جلال الدين عندما علم هذا الأخير أن بنت أمين ملك نجت من الغرق و توجد في مدينة أوجاها التابعة لممتلكات قباجة فطلب جلال الدين من فباجة أن يرسلها إليه و كان له ذلك فقد أرسلت الزوجة لزوجها معززة مكرمة[2]

لم تستمر الألفة و المودة طويلا بين هذا الوالي الهندي و بين جلال الدين و بدأ الصراع عندها و صل شهاب ألب الذي كان وزيرا لجلال الدين أثناء ولايته على غزنة الى أراضي قباجة بعد معارك المغول و

[1] احمد حافظ حمدي :: المرجع السابق ،ص168-188

[2] النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص163

لم يكن قباجة في هذه الفترة يعرف بخبر نجاة جلال الدين ووصوله سالما الى الأراضي الهندية ، لذلك تحدث قباجة الى شهاب الدين في موضوعات سريو تخص جلال الدين و عندما وصلته الأخبار بنجاته تخوف كثيرا من شهاب الدين خاصة عندما قام جلال الدين منكبرتي بالمطالبة بإرسال وزيره شهاب الدين إليه الا أن قباجة قرر قتل الوزير خوفا من افتضاح أمره[1].

وهناك سبب أخر لتكدر العلاقة بين قباجة و جلال الدين وهي قيام أهل مدينة كلور[2]التابعة لممتلكات قباجة بالاستيلاء على ممتلكات قرن خان ابن أمين ملك الذي اتجه اليها بعد الغزو المغولي الى هذه المدينة ولم يتوقفوا عن السلب و النهب لذلك قرر جلال الدين الانتقام فخرج الى مدينة كلور و حاصرها و حارب أهلها فأصابته نشابة في يده وظل يقاتل حتى سقطت المدينة في يده و بعدها طلب قباجة مساعدة من شمس الدين أيلتمش[3] فأمده بجيش قدر بعشرة ألاف فارس[4] و كان جلال الدين يعلم أن لا طاقة له بمثل هذا الجيش الضخم بل أنه لا يقوى على مواجهته فأطلق صيحة الليل و أخذ عسر قباجة بغتة فاضطر الى الفرار مخلفا وراءه الخزائن و الخيام المنصوبة وعتاد الحرب فالت الى جلال الدين و مرافقيه بذلك تخلصوا من نقص امداداتهم[5]

وقف نجح جلال الدين منكبرتي قي القيام بمحاولات لكسر شوكة قباجة فاستطاع ان يتوجه لاهور و يدخل ابن قباجة في طاعته على اساس أن يدفع له مالا قد قدر عليه كما جعل مناطق أخرى تابعة له منها سيستان و أوجا و خانسبر[6].

---

[1] عفاف سيد صبره : المرجع السابق ، ص214-215

[2] كلور :هي مدينة من مدن اقليم البنجاب ، انظر ، النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي،ص163

[3] شمس الدين ايلتمش :كان احد القادة الترك في الدولة الغورية وبعد سقوطها ذهب الى الهند واسس امارة ثم حكم دهلى ،انظر ،النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص265

[4] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص316

[5] محمد دبير سياقي : المرجع السابق ،ص 96

[6] خانسر :قرية قريبة من همذان ، انظر ، شهاب الدين ياقوت الخموي :المصدر السابق ،ج3،ص73

بعد هذا ركن جلال الدين الى الراحة ليصله خبر بأن شمس الدين إيلتمش قاصده في ثلاثين ألف فارس ز مائة ألف رجل وثلاثمائة فيل فتحرك السلطان و قواته لمواجهة هذه القوة ونجحوا في الهجوم عليها و تكييدهم خسائر كبيرة مما اضطر شمس الدين الى طلب الموادعة و الصلح مذكرا جلال الدين بعدوهم الكبير جنكيز خان و بأنه سليل الخوارزمية وعرض عليه تزويجه بابنته لتستحكم الثقة[1]

و ترادفت الأخبار بأن إيلتمش و قباجة[2] وسائر ملوك الهند و عامة رايتها قد تامروا على قتل جلال الدين وأن يمسكوا عليه حافة ماء خجنير فعظمت اذ ذاك بليته وفترت في وجوه العزائم نيته و رأى أن الزمان حزب عليه أحزابا وفتح عليه أبوابا فاستشار نصحاءه في تدبير دلك الأمر بصوابه فاختلفت أراؤهم في التقريب و التبعيد[3] زيادة على ذلك فقد وصلت إليه أخبار من العراق بأن أخاه غياث الدين قد بدأ يعد العدة للاستيلاء على هذه المناطق و يخرج بها عن طاعة جلال الدين خاصة و أنه نصب نفسه حاكما على العراق لأن أهلها وجدوا فيه أميرا ضعيفا يستطيعون السيطرة عليه ، لذا قرر الملك خوارزم شاه ترك بلاد الهند بما فيها من مشاكل و التوجه الى العراق لاستعادتها من أخيه و ترك جهان بهلوان أزبك الملقب بوفاء الملك نائبا عته في بلاد الهند وكان هدفه من ذلك استرداد مملكة أبائه و أجداده و الانتقام ممن كان لهم يد في وقوع مملكته فريسة للغزو المغول[4]

-أوضاع إيران في حكم غياث الدين :

لما قسم علاء الدين خوارزم شاه أقاليم الدولة الخوارزمية بين ابنائه اختص ابنه غياث الدين بحكم بعض الاقاليم في جنوب و غرب الدولة و ظل يحكم هذه الاقاليم حتى الغزو المغولي خاله ايغان

[1] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص216-217

[2] قباجة الملتاني :هو ناصر الدين قباجة حكم السند والملتان وأوجه من سنة 602هـ الى624 همستقلا عن السلطان شمسي الدين التمش لكن السلطان جلال الدين حاربه عندما كان في الهند فارا من وجه المغول وانتزاع أوجه والملتان وبعد انسحاب جلال الدين من الهند عاد اليها قباحة وحكمها مستقلا عن السلطان دهلى . انظر ، النسوي : نفثة المصدور ، 83

[3] النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص168

[4] عفاف سيد صبره ، المرجع السابق ،ص218

طائسي ولما رحل المغول عن الدولة الخوارزمية عاد غياث الدين واسترد أملاكه بعد أن كان معتصما في قلاع مازندان .

و لكن ايغان طائسي قرر الخروج عن طاعة عياث الدين فاتفق مع أحد كبار القواد على العصيان و قد أيد الخليفة الناصر العباسي هذا الأمر و شجعه على الثورة و استطاع ان يجذب اليه عددا كبيرا من الجنود الخوارزميين من أتباعه المخلصين[1]

وفي سنة 620هـ/1223م واجه غياث الدين هذه الجيوش الثائرة و هزمها شر هزيمة و فر المنهزمون الى أذربيجان و اعتصموا بها[2]

اضطر ايغان طاتيسي الى قبوا سيادة غياث الدين الذي أصبح سيدا على العراق العجمى و خراسان بالإضافة الى إقليم مازندران جنوب بحر قزوين ، وفي أواخر سنة 620هـ/1223م صمم غياث الدين الاستيلاء على اتابكية فارس[3] فباغت صاحبها الأتابك سعد بن دكلا[4] الذي لم يتخذ عدته للدفاع ، لذلك فر الى مدينة اصطخر[5] واختبأ فيها فسهل بذلك الاستيلاء غياث الدين على مدن الأتابكية الواحدة تلوى الأخرى[6]

وفي سنة 621هـ/ 1224م استولى غياث الدين على شيراز[7]دون مقاومة .

---

[1] حافظ احمد حمدي : المرجع السابق ،ص198

[2] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج12،ص170

[3] فارس :ولاية واسعة وإقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيران ومن جهة السند مكران ،انظر ،شهاب الدين ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج4،ص226

[4] سعد بن كلا :هو اتابك فارس الذي ينتمي الى اسرة السلغورين في فارس ،انظر ، الباز العريني :المرجع السابق ،ص166

[5] اصطخر :بلدة بفارس في الإقليم الثالث ، انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج1،ص211

[6] حافظ احمد حمدي :المرجع السابق ،ص199

[7] شيراز :هي قصبة بلاد فارس ،انظر ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج4،ص382

و باستيلاء الخوارزمين على هذه المدن لم يبق في يد الاتابك سعد سوى بعض المدن المنيعة التي لم يستطع الخوارزميون من الاستيلاء عليها ، واخيرا تم الصلح بينهما و اتفقا على أن يحكم كل منهما جزء من اتابكة فارس[1]

و كان من الأثر الخضوع هذه لغياث الدين أن دع له على المنابر في خطبة الجمعة و دفعت له الجزية على أن القوة التي اكتسبها غياث الدين بعد سلسلة من الفتن و الدسائس و المؤامرات قد قدر لها ان تموت في مهدها لأسباب منها :

01-أن الكثير ممن قبلوا طاعته بإرسال الجزية دون ان يقوموا بتنفيذ ما وعدوا به .

02-سوء سيرته أثرت عليه وصفه النسوي " متوقرا على لذاته منهمكا في أهوائه و شهواته ، لا يشهد مقاما محمودا و لا يشهد حساما مغمودا" .

03-عهد الأتراك على تخريب كل ما يصل الى أيديهم بعد أن رأوا ضعف سياسته.

04-عدم وضع حد لهؤلاء من طرف غياث الدين بل نراه يحاول ارضاءهم بشتى الوسائل ومنها الاسراف في منحهم الالقاب فلقب البعض بالأمراء و البعض الأخر بالملوك و البعض الثالث بالخانات[2]

و من الأسباب التي ساعدت على اضطراب الحالة السياسية في هذه البلاد تحكم أم غياث الدين في أمره حتى أنها تلقبت بلقب خدا و ند جهان،و قد استمر الحال على ذلك في هذه الأقاليم من الدولة الخوارزمية حتى عاد جلال الدين منكبرتي من منفاه في بلاد الهند و استطاع ان يسيطر على الاملاك التي بيد أخيه[3]

[1] ابن الوردي :المختصر في اخبار البشر ،ج2،ص145

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص99-100

[3] احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص200

أ–خروج جلال الدين من الهند توجه الى كرمان :

لعل الظروف الصعبة التي أوضحناها داخل بلاد الهند أجبرت جلال الدين على اعداد العدة و ترك هذه الأراضي ، الى جانب الظروف التي ال اليها الوضع في دولة المغول حيث انحصر المد المغولي و عاد الغزاة الى منغوليا و كذلك موقف اخاه غياث الدين لذلك قرر التوجه صوب بلاد العراق[1]

اتجه أولا الى كرمان و في هذا يقول النسوي : "قاسى جلال الدين ومن معه من رزايا ، الأرواح المتخلصة من بين مشتجر الرماح في البراري القاطعة بين كرمان و الهند ، شدائد أنستهم سائر الكرب و أوردتهم بأجمعهم سواقي العطب وقد اعوزتهم في تلك القفار علالات الشفاه....."[2]

حتى وصلوا الى مدينة كرمان التي كان الوالي عليها براق الحاجب[3] من قبل غياث الدين بيرشاه وقد كان هذا البراق حاجبا لكورخان [4] ملك الخطابية فقد كان غياث الدين يضع كل الثقة في براق الحاجب الا ان هذا الوالي كان مخادعا كاذبا حتى وصفه النسوي "يخلط طاعة بجفاء ويسر حسوا في ارتقاء "لذلك عند وصول جلال الدين استقبله براق الحاجب استقبالا طيبا وأقام معه في مدينة كواشر عاصمة كرمان شهرا كاملا ، الى أن حدس منه أنه نوى غدرا وأضمر مكيدة ومكرا شاور في أمره وجوه اصحابه من أجل التخلص منه الا أنهم نصحوه بالتريث و عدم التعجل بالغدر به[5]، ثم اسس دولة في كرمان سنة 619م وأظهر ولاءه للسلطان جلال الدين و ليتأكد هذا الولاء زوجه

[1] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص218

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي،ص174

[3] براق الحاجب:هو مؤسس أسرة كتلغ خان في كرمان وكان أصلا في خدمة الخطا ثم خدم خوارزم شاه ولو يلبث ان استقر في كرمان الى ان قدم من اوكتاي فاظهر من الولاء والإخلاص يقرونه في امارته ويمنحونه لقب تلغ خان ،انظر ،البز العريني :المرجع السابق ،ص166

[4] كوخان :لقب اتخذه ملوك دولة الخطا لأنفسهم ومعناه خان خانات ،انظر ،ابن الأثير :المصدر السابق ، ص121

[5] النسوي :سيرة السلطان ،ص185

احدى بناته فقبل جلال الدين بذلك[1]، اتجه بعد ذلك صوب شيراز في الوقت الذي قدم اليه حاكم منطقة يزد[2]المدعو علاء الدولة يعلن له طاعة أهل بلاده وخضوعهم للسلطان جلال الدين [3]و حذا حذوه كل من اتابك كرمان و فارس فزوج الخوارزم شام من ابنته ايضا فاقر السلطان على البلاد[4]

ثم تقدم من شيراز الى أصفهان فوجد القاضي ركن الدين مسعود في استقباله وفادت أفلاذ كبدها اليه من عدد الجند و الات الحرب و بهذا تكون اصفهان قد قدمت فروض الطاعة و الولاء لخوارزم شاه[5]

ب–مواجهة جلال الدين لأخيه غياث الدين:

كان غياث الدين يعسكر بجيش كبير على مقربة من مدينة الري كما كان على اتم استعداد لمواجهة جلال الدين الذي حمل جنده أعلام بيضاء كتلك الأعلام التي يحملها المغول فلما رأى غياث الدين ذلك المنظر ظن انه امام جيش المغولي فولى الادبار .

و عندما سمع غياث الدين باقتراب جلال الدين منه أصابه الخوف و الذعر فبدأ يعد العدة و يجمع العساكر للقاء أخيه المنكبرتي و طرده من مملكته ، ثم سار على رأس قواته التي قدرت بنحو ثلاثين ألف فارس وعندما سمع جلال الدين منكبرتي بذلك أدرك عجزه عن مواجهو غياث الدين عسكريا فلجأ الى استعطاف أخيه فأرسل له رسالة مع أحد خواصه " أنه لم يأت من بلاد الهند الا

[1] عبد السلام فهمي :تاريخ الدولة المغولية في ايران ،دار المعارف ،الإسكندية،1981م،ص88

[2] يزد:احدى مدن فارس وتقع على بعد سبعين فرسخا من شيراز ،النسوي :سيرة السلطان ،ص186

[3] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص219

[4] عبد السلام فهمي :المرجع السابق ،ص89

[5] النسوي :سيرة السلطان ،ص188

ليكون الى جواره وأعلن أنه ليس من مأرب اخر" و لقد تأثر غياث الدين بهذه الرسالة و رق لحال أخيه و عاد الى الري و تفلاقت عساكره في البلدان [1]

الا انه لم تنته مهمة رسول جلال الدين عند هذا الحد بل قام بالاتصال بجماعة من الأمراء السلطانية و أعطاهم خواتم مرسلة لهم من جلال الدين علامات منه يعدهم و يمنيهم الدرجات العليا ليستميلهم اليه و انقسم هؤلاء الامراء الى فريقين منهم من أخذ الخاتم و سكت رغبة منه في مناصرة جلال الدين منهم من سارع الى غياث الدين و ناوله الخاتم ن فأدرك غياث الدين مكر أخيه به فأمر بالقبض على الرسول [2] وما ان سمع جلال الدين بذلك حتى سار مسرعا في ثلاثة الاف فارس ليقبض على اخيه و يحول بينه وبين تجميع عساكره المتفرقة في البلدان ففوجئ غياث الدين بذلك فركب فرسه و هرب الى قلعة سلوقان.[3]

و هكذا اصبح جلال الدين يسيطر على الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية و خاصة بعد أن حاصر من بقي من قواد هذه الدولة و أعلوا ندمهم عن عصيانهم و توسلوا الى السلطان أن يصفح عنهم فأجابهم جلال الدين الى طلبهم كذلك حكام المدن و الأقاليم المختلفة الذين استقلوا ببعض ولايات خراسان و مازندان و العراق العجمى[4] في فترة الفوضى التي أعقبت رحيل جنكيز خان تسارعوا الى جلال الدين و يعلنون طاعتهم له فمنهم من صفح عنه و أعاده الى بلاده معززا مكركم ومنهم من عزله عما كان بيده من بلاد[5]

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص176-177

[2] الذهبي :المصدر السابق ،ص59

[3] سلوقان :حصينة في الري ،انظر ،النسوي :سيرة السلطان ،ص178

[4] حافظ احمد حمدي :المرجع السابق ،ص203

[5] ابن ابيك الدوادار :كنز الدرر وجامع الغرر،تح :سعيد عاشور ،ج7؛د.دن ،القاهرة ،1391ه/1972م ،ص262

وقد أكد جلال الدين لوالدة غياث الدين التي عاملها معاملة حسنة و أنكر انزعاج أخيه وقال:" لم يتول من بني ابي سواه و انا له فيما يميل إليه و يهواه وانه اليوم بمنزلة العين الناظرة او أعز". فأرسلت اليه والدته يبين له موقف أخيه منه فاطمأن غياث الدين و عاد الى خدمة جلال الدين منكبرتي [1]

نستبعد صحة هذه الرواية مما سبق ذكره في أوضاع إيران قبل مجيء جلال الدين فوالدة غياث الدين كان يهمها سيطرة إبنها على البلاد التي استقر فيها فكيف تحاول اقناع ابنها بالتخلي عن سلطانه و الدخول في طاعة أخيه جلال الدين و لعلها لجأت الى ذلك تحت الضغط و التهديد من قبل جلال الدين

ج–إستلاء جلال الدين على أذربيجان:

اهتم جلال الدين منكبرتي بضرورة توسيع نفوذه على حساب القوى في شمال الدولة الخوارزمية ومن أهمها أذربيجان و جورجيا و الواقع أن الخوارزميون فكروا منذ أيام السلطان علاء الدين محمد في تولية وجوههم صوب أذربيجان[2] ، وقد بدأ جلال الدين بإرسال مبعوث من قبله الى اتابك أزبك بن بهلوان [3] يأمره بإقامة الخطبة و السكة باسمه في عامة بلاد ممالكه وأن يحمل الى الخزانة السلطانية أتاوة معينة [4] وافق أزبك بن بهلوان على اقامة الخطبة و وضع اسم السلطان على السكة فذهب الى الخوارزميين في اران وأذربيجان و بعث هدايا الى السلطان و سلم له قلعة قزوين لكنه لم يتمكن من دفع الإتاوة المقررة و اعتذر للسلطان لأن الكرج دائمو الاغارة على بلاده[5]

[1] ابن ابيك :المصدر السابق ،ج7؛ص262

[2] اذربيجان :ناحية واسعة بين قهستان أران بها انهار كثيرة وقرى وجبال وبها المدن كثيرة أشهرها تبريز وخوى وسلمان وأرمينية ،انظر ،ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ج1 ،ص128-129

[3] مظفر الدين اوزبك بهلوان :هو جهان ايلدكر احد اتابكة اذربيجان اخر حكام اسرة ايلدكر ،انظر ،ستانلي بول :الدولة الإسلامية ،د.دن ،دمشق ،د.ط ،1394هـ/1974م،ص366

[4] النسوي :سيرة السلطان ،ص58

[5] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص225

بعدها اتجهت قوات جلال الدين ضد مراغه[1] فاحتلها ثم سار جلال الدين من هناك الى همذان حيث كان ايغان طائس الذي كان من كبار رجال والده السلطان محمد مقيما بها بعد ان اعلن نفسه حاكما عليها فوضع حدا لتمرده و أخضعه لسلطانه وأقام جلال الدين في مراغه حيث أعجبه المقام بها و لما سمع به صاحب أذربيجان و اران مظفر الدين ازبك بن بهلوان سار من تبريز عاصمة أذربيجان الى كنجة [2]خوفا من جلال الدين و بقيت زوجته بنت السلطان طغر بن ارسلان بن طغرل مقيمة في تبريز. ثم سارع جلال الدين بالذهاب الى تبريز واحكم حصارها و قاتل أهلها قتالا شديدا فكان جلال الدين يذمهم و يقول "قتلوا أصحابنا المسلمين و أرسلوا رؤوسهم الى التتر الكفار"[3]

فقامت زوجة الأتابك البهلون بتسليم مدينة تبريز الى جلال الدين سنة 622هـ/1225م فعفى عنهم السلطان الخوارزمي و امنهم و امن كذلك زوجة أزبك على مدينة خوى[4] ثم قام جلال الدين ثم تزوج من تلك الملكة بعد أن ثبت طلاقها من زوجها الأتابك أزبك[5] و يذكر النسوي " أن الزواج تم برغبتها الشخصية وقد أجمعت المصادر على جلال الدين أحسن أهل البلاد و ثبت فيهم العدل ووعدهم بالإحسان و الزيادة منه ثم بدأ يركز جهوده لمهاجمة بلاد الكرج. [6]

[1] مراغة :بلدة مشهورة عظيمة من اعظم واشهر بلاد اذربيجان ،انظر ، ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5،ص93

[2] كنجة :مدينة عظيمة هي قطبة بلاد اران ،انظر ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج4،ص8

[3] ابن واصل :المصدر السابق ،ج4 ،ص149-150

[4] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9،ص358

[5] النسوي :سيرة السلطان ،ص194-195

[6] الكرج:جماعة من المسيح كانوا يسكنون فيجبال القوقاز ،انظر ،ابن واصل :المصدر السابق ،ج4؛ص192

2-جلال الدين و القوى المجاورة:

1-الكرج:

اهتم جلال الدين منكبرتي بضرورة توسيع نفوذه على حساب قوى شمال البلاد الخوارزمية و من أهمها جورجيا فأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن أراضي المسلمين ضد اعتداءات الكرج [1]أو الجرجانيون المستمرة على الاراضي الايلامية المجاورة مما أكسبه سمعة طيبة من وجهة نظر الاسلامية فقبل مجيء جلال الدين منكبرتي كانت غاراتهم المدمرة تثير الرعب و الهلع لسكان المسلمين في خلاط و أذربيجان و أران وأرزون الروم عاشوا تحت الذل و الخزي و لم يتحرك صاحب أذربيجان أزبك بن بهلوان لنصرة المسلمين اذ كان منغمسا في شهواته وملذاته فنظر الله الى اهل هذه المدينة المساكين بعين الرحمة فرحمهم و يسر لهم جلال الدين منكبرتي الذي أراد توطيد نفوذ دولته وتأديب هذه الدولة ، وتعويض المسلمين ما فاتهم ليرد إليهم شيئا من كرامتهم [2]و يبدأ ابن الأثير كلامه في هذا الموضوع بنعي الاحداث التي أصابت المسلمين من هجمات الكرج و كيف كان المسلمين تحت الذل و الخزي كل يوم قد أغاروا وفتكوا فيهم .

فكنا كلما سمعنا بشيء من ذلك سألنا الله تعالى نحن المسلمين أن يسير للمسلمين من يحميهم و ينصرهم و يأخذ بثأرهم ، فيرى ابن الأثير أن الله يسر لأهل البلاد جلال الدين لينتقم من الكرج.

و عندما بعث جلال الدين يخبرهم بنيته في مهاجمتهم أجبوه بالتحدي والاستخفاف بقوته[3]

[1] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص228

[2] النسوي :سيرة السلطان ،ص197

[3] ابن الأثير :المصدر السابق،ج9 ،ص395

أ–حرب جلال الدين ضد الكرج:

بدأ الكرج في تجهيز قوتهم لمواجهة الخوارزميين و البدء بالعدوان قبل أن يبدأ خوارزم شاه فقد اجتمعوا بموضع يقال له كربى فكانت عدتهم ستين ألف و يحلل النسوي " مناوراتهم بالعدوان حتى يشعروا بما عندهم من الشوكة و الكثرة لعل جلال الدين يرغب في مهادنتهم فيسلمون بها من شر العقاب"[1]

جهز جلال الدين قواته و جمع شتاتها وعندما وصل الى نهر ارسي[2] وصلته الأنباء باقتراب الكرج فتوجه الى كربى فرأى الكرج بكثرتهم ووفرتهم وقوة رجالهم ما جعل جلال الدين يرتاع منهم و يذكر النسوي" ما يروع الذئاب من سوام الغنم و الليون الجياع من هوام النعم"[3] ، رتب جلال الدين جيشه وانتظر هجوم الكرج فلم يهجموا فانتظر الى اليوم التالي ثم عقد العزم على البدء في الهجوم لانه رأى أن العدو مال الى المماطلة و قرر أن يركز هجومه من جميع الجهات وأعد لهم الخطة التي يجب أن يسيروا عليها [4]

تحركت الفرقة الاولى من قبل الكرج تحت قيادة شلوه فقاتلوه واقتتلوا وهزم الكرج هزيمة نكراء و قبض على القائد شلوه واصيح ايوانى هو مقدم العسكر عليهم وفر مذموما مدحورا .

و المعروف ان الملكة عليهم هي الملكة روسوذان و يوضح كل من ابن الأثير و ابن واصل هذه النقطة ويعرض ان الايوانى لم يكن في الحقيقة ملكهم و انما كان الملك يومئذ في يد امرأة و قد قال النبي صلى الله عليه وسلم " لم يفلح قوم ولو أمره امرة "، وهرب ايوانى و توجه الى قلعة تابعة الى الكرج فاحتمى بها و لكن قوات جلال الدين منعته من ذلك

---

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص195

[2] نهر الراسي :في بحر قزوين يلتقي بنهر الكور وقد ورد ذكرهذين النهرين في صبح الأغشى باسم الراسي والكر ،انظر ،ابو العباس القلقشندي :المصدر السابق ،ج4،ص402

[3] النسوي :سيرة السلطان ،ص195

[4] ابن واصل :المصدر السابق ،ج4،ص152

ويعرض النسوي صورة حية لما فعله جلال الدين بالكرج بعد هزيمتهم على يده يتضح منها الرغبة الأكيدة للانتقام منهم لما سبق أن فعلوه بالمسلمين فكان انتقام جلال الدين واضحا فقد كان الكرج يساقون اليه و هو واقف على التل و الكرج تساق اليه بجزام الذل كما ساق المرجومون الى النار وجوه عليا غبرة الكفران ترهقها فترة الخذلان حتى ان جلال الدين كان يأمر أتباعه أن كل ما يصل اليه يطأ بأقدامه على قتلى الكرج ويدوسهم[1]

بعدها قرر خوارزم شاه مهاجمة بلاد أنجاز وفي نفسه قصد تفليس فقاد جيشه ضد أراضيهم فوصل الى نهر أراس عندئذ نجح في كشف رسالة موجهة من قبل شلوه الكربي الأسير عنده الى أمراء أنجاز يحثهم برحيل السلطان لذلك قبض عليه جلال الدين ووسطه[2] على شاطىء النهر

ب–تفليس:

توجه جلال الدين الى تفليس التي كانت محصنة تحصينا دقيقا لكنه حطم هذه التحصينات و اقتحم المدينة ونجح الجيش الخوارزمي في السيطرة على تفليس عاصمة الكرج و مقر الملكة روسودان فحمل على الناس حملة كشفتهم عن رؤوسهم بلا غلاصم[3] وأيد بلا معاصم .

وقد استمرت قوات الخوارزميين تقتحم مدن الإنجاز ، وقد أبقى جلال الدين بمدينة تفليس شرف الدين الذي عينه واليا عليها ، ورجع جلال الدين مسرعا الى كرمان حيث وصلته الأخبار عن سوء نية حاكم الأقاليم براق الحاجب و سياسته العدوانية وما كان يقوم بتحريض الأعداء ضده[4] بعدها

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص199

[2] التوسط :عقوبة تقضي بضرب المحكوم عليه بوسط السيف على ان تكون الضربة قوية تحت السرة فينقسم الجسم الى نصفين ،انظر ،عاشور :عصر المماليك في مصر والشام والقاهرة ،د.دن ،د.ب ،د.ط ،1965م،ص424

[3] غلاصم :اللحم من الراس والعنق والجمع غلاصم وتعني القتل والفتك ،انظر ،عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص231

[4] ابن الأثير :المصدر السابق ،ص359

عاد جلال الدين مرة أخرى الى تفليس و عند وصوله اتجه الى مدينة أنى وهي من مواطن الكرج أين كان ايواني يعتصم بها ، فحاصره جلال الدين وبعث فرقة أخرى من الخوارزميين الى مدينة قرس الكرجية أيضا فنازل المدينتين و ظل الحصار طويلا واستمرت الكرج في المقاومة خوفا من أن يصيبهم ما أصاب إخوانهم بمدينة تفليس فاضطر جلال الدين الى ترك حصار هاتين المدينتين الى جنوده و اتجه الى بقية بلاد الإنجاز ليستأصل شأفة الكرج منهم فأوقع بمن فيهم و ضرب البلاد و أحرقها[1]

وفي سنة 624هـ جدد جلال الدين هجماته مرة أخرى بعد أن سحب عدد كبير من الحامية الخوارزمية الموجودة بتفليس مما أدى الى ضعف الحماية ونجاح زعماء الكرج في العودة اليها بأنى و قرس و انتقموا من المسلمين بها و أحرقوها[2]

وقد عملت روسودان و قائدها إيوانى على أن تنفخ في جيشها روحا و أملا ربما تحقق به انتصارا فقامت بالاستعانة بجيوش البلاد المجاورة لمدينة الدربند وهم قبائل اللكز والألان و الأرمن والقفجاق و السون وإنجاز والجنيت من أجل تكوين قوة للقضاء على جلال الدين .

لذلك جهز جلال الدين قواته و اتجه الى البحيرة و التقى بجيش الكرج فهزمه هزيمة كبرى وأتى نصر الله بالفتح و استولوا على عتادهم وأسلحتهم و على قائد إيواني .

ثم توجه جلال الدين الى ناحية لورى سنة 625هـ/1228م و راسل الكرج و هددهم وطلب منهم تسليم الأسرى المسلمين الذين أسروا في معركة البحيرة[3]

بعدها تعرضت كنجه الى غارات من قبل بهرام الكربى فجهز جلال الدين جيشه و توجه نحو قلعة يقيم فيها بهرام تسمى قلعة تشكان ففتحها عنوة واقتدارا ثم توجه الى قلعة عليا بان كانت للملكة

[1] ابن الأثير :المصدر السابق ،ص395

[2] عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص234

[3] ابن الأثير :المصدر السابق ،ص360

تمستاها بعدها توجه الى قلعتي كالة و كوراين فحاصرها حتى اضطر الكرج الى المهادنة و دفع الجزية و بذلك دان الكرج بالطاعة للخوارزميين[1]

2-الإسماعيليين:

بعد عودة جلال الدين منكبرتي من حملاته من الهند و أقطع كل رجل من رجاله إقطاعا معينا و من جملتهم أوخان الذي أقطعه خراسان و قد كان هذا النائب يتعرض الى بلاد الاسماعلية ومايتضمنها مثل تون وقلين وقهستان بالنهب و القتل لذاك بعث اليهم زعيم هذه الفرقة بأحد رجاله ويدعى الكمال وقد كان نائب لهم عن بلاد الشام فتقابل مع جلال الدين الذي أمر بلقاء بين رسول الاسماعلية و النائب أورخان حتى ينهوا أسباب النزاع فما كان من أورخان سوى الاستهزاء بالرسول الاسماعيلي الذي سمع منه تهديدا ، وقام بإلقاء السكاكين و السيوف أمام الرسول و قال " هذه سكاكيننا و لنا من السيوف ما هو أمضى واحد "[2]

وعاد الرسول بدون أن يظفر بطائل من الخوارزمية و بهذا انتهز الإسماعيليين رحيل جلال الدين الى كنجه و دبروا مؤامرة لقتل أورخان حيث وثب إليه ثلاثة من الفدائيين و قتلوه و نادوا بشعار علاء الدين[3] وفي هذا الوقت كان الشيخ علاء الدين يسير الى جلال الدين فعندما سمع بما فعله الفدائيون تحير في أمره هل يعود أو يكمل سيره الى سفاراته فعرض على وزير جلال الدين شرف الملك أن يسهل له مهمته و قام هذا الأخير بتسهيل مهمته ليس رغبة منه وإنما خوفا من أن يلحق به ما لحق بأورخان .و كانت المطالب الخوارزمية تتلخص في عدم تعرض الإسماعلية لممتلكاتهم خاصة بعد استيلائهم على دامغان و انتهى الاتفاق على ان تبقى بأيديهم و يدفعوا عنها الى خزانة جلال الدين

[1] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص235

[2] النسوي :سيرة السلطان ،ص228

[3] المقصود به علاء الدين محمد الثالث بن حسن الثالث داعي الباطنية في فارس ،انظر ،عفاف سيد صبره :المرجع السابق ،ص237

ثلاثين الف دينار و كتب لهم بها توقيعا[1]، وبقي رسول الاسماعلية عند شرف الدين الخوارزمي الذي جالسه ونادمه وقد أفشي رسول الاسماعلية أثناء ثمله بخبر تواجد مجموعة من الفدائيين في جيش الخوارزمية بدون علمهم ولما علم جلال الدين أمر أن يحرق هؤلاء الفدائيين الخمسة بعدها وصل مبعوث من الاسماعلية يطلب جلال الدين ديه كل فدائي من هؤلاء الخمسة تقدر بحوالي عشرة ألاف دينار و اضطر جلال الدين الى إجابة على مطلبهم[2]

وعندما حصل خلاف بين جلال الدين وأخيه غياث الدين ،توجه غياث الدين الى بلاد الاسماعلية في قلعة الموت مستنجدا بهم طالبا الحماية من أخيه لذلك أرسل علاء الدين صاحب القلعة الى جلال الدين يطلب الأمان لغياث الدين ليعود الى الخدمة فأجاب السلطان الى ما سأل من الأمان وأكد قوله بالإيمان[3]

ويذكر ابن الأثير رواية أخرى تختلف عن تلك التي ذكرها النسوي فقال:" ان جلال الدين عندما علم بوجود أخيه لدى طائفة الاسماعلية هددهم بغزو حصونهم اذ لم يسلموا أخاه اليه ، فرد عليه مقدم الاسماعلية برسالة جاء فيها :" إن أخاك قد قصدنا وهو السلطان بن سلطان و لا يجوز لنا ان نسلمه ولكن نحن نتركه عندنا ، ولا نمكنه من أن يقصد شيئا من بلادنا و نسألك أن تشفعنا فيه و الضمان علينا بما قلما "فأجابهم جلال الدين الى شفاعتهم و عاد الى بلاده[4]، وقد تبدلت سياسة الاسماعلية اتجاه الخوارزمية فيما بعد اذ فوجئنا بسفارة من قبل علاء الدين صاحب قلاع الاسماعلية الى السلطان جلال الدين منكبرتي مكونة من تسعة فدائيين تقرب الى السلطان على أن يجهزهم الى من شاء من أعدائه فيقتلونهم[5]

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص231

[2] النسوي :سيرة السلطان ،ص231

[3] نفسه:ص343

[4] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص247

[5] النسوي :سيرة السلطان ،ص247

ويعلل الأستاذ حافظ حمدي ذلك بأن الطائفة الاسماعلية هذه في ذلك الوقت قد فقدت سلطانها

القديم في أقاليم الشرق الاسلامي و لم يعد لها تلك الأهمية التي كنت بها من قبل ويرجع ذلك الأسباب التالية :

ازدياد شوكة جلال الدين و اتساع نفوذه في أقاليم العراق العجمى وفارس وأذربيجان منها أبضا ما يرجع الى خطر المغول عن بلاد الشرق الاسلامي ،الى حين مما ترتب عليه إطلاق جلال الدين العنان لنفسه في هذه البلاد و ضعف تلك العلاقة التي كانت أشبه ما تكون بالتحالف بين الاسماعلية و المغول فلا عجب اذا ما حاول قادة الاسماعلية أن يسلكوا في هذه الفترة سياسة المسالمة مع الخوارزميين[1]

رغم هذه السياسة الا ان التوتر السياسي بدأ في فارس عندما وصلت الأنباء الى السلطان جلال الدين بأن هناك فئة من المغول قد توجهت الى بلاد الشام صحبة تجار إسماعيليين ، لذا صدرت الأوامر السلطانية بالقبض على أفراد القافلة التجارية عند عودتهم ومن المحتمل أن تكون هذه القافلة تحمل رسلا من قبل المغول والاسماعلية هدفهم الاتصال بالصلبيين في بلاد الشام لتأليف حلف ضد المسلمين و قد نجح شرف الدين الملك الموكل من طرف جلال الدين[2] لذلك ثارت ثائرة الشيخ علاء الدين شيخ الاسماعلية و بعث مندوبا من قبله لمقابلة جلال الدين معاتبا اياه على ما حدث فأمر جلال الدين برد جميع ما سلب من قتلى الإسماعيليين ، ويفي الطائفة الاسماعلية بدفع أتاوة سنوية لجلال الدين وقد ذكر النسوي " أن رسولا قدم من قبل الاسماعلية يلقب بفلك الدين كان يحمل معه عشرين ألف دينار مما يجب حمله من الاتاوة المقررة عليهم و التي كانت تقدر بثلاثين الف

[1] حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص247

[2] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص240

دينار واتضح أنهم قد تأخروا عامين عن سداد ما قرر عليهم لذلك سلموا لجلال الدين عشرين الف ودفع الباقي حجج وأرسل النسوي الى علاء الدين شيخ الاسماعلية لمطالبته برد المال[1]

من جملة المهام التي بعث بها النسوي الى علاء الدين شيخ الاسماعلية مطالبته برد غياث الدين و الذي اخلف الوعد برده و قد أمر جلال الدين النسوي بعدم تقبيل يد علاء الدين وفق المراسيم المتبعة لدى الاسماعلية وألا يسلم الرسالة الا لعلاء الدين الذي تمت المقابلة بينهم بعد ثلاث ليال .

-ومن أهم الموضوعات التي بحثها النسوي مع الشيخ علاء الدين :

إعادة الخطبة للسلطان جلال الدين منكبرتي طبقا لما كان متبعا في أيام والده علاء الدين خوارزم شاه .

تحقق جلال الدين من حقيقة الاتصال الذي تم بين الاسماعلية و المغول فأخبرهم بأن الغارات من المغول طابت بالاتاوة المقررة عليهم. وقد عمل النسوي بالمودة و الاحترام ومدى التذلل و الخضوع للخوارزميين[2]

3-الأيوبيين:

أ-تحالف المعظم عيسى مع جلال الدين:

تقوم العلاقات بين الدول على المصالح المشتركة فإذا انتهت هذه المصالح أصبحت العلاقات بينهم متذبذبة و قابلة للانقطاع و يمثل دلك ما ستتطرق اليه من العلاقة بين الخوارزمية و الأيوبية .

فلعل أول إشارة الى العلاقة بين الدولتين ترجع إلى عهد الملك العادل الأيوبي الذي كان معاصرا للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية، ففي سنة

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص336

[2] النسوي :سيرة السلطان ،ص341

615هـ/1218م وصل رسول علاء الدين خوارزم شاه الى الملك العادل[1] وهو بمرج الصفى[2] ولم تشر المصادر الى هدف هذه الزيارة التي قام بها مبعوث علاء الدين خوارزم شاه الى الملك العادل[3] ولعل الهدف يرجع الى رغبة خوارزم شاه في إقامة علاقة طيبة مع بني أيوب تمهيدا للتحالف معهم ضد خصومه خاصة بعد فشل السلطان علاء الدين خوارزم شاه في غزو بغداد 614هـ/117م، وقد قابل العادل دلك برغبة صادقة حيث رد على رسالة خوارزم شاه برسالة حملها الخطيب الدولعي[4] و النجم خليل قاضي العسكر فوصلا الى همذان[5] ولم يلتقيا مع خوارزم شاه حيث اندفع بين يدي الخطا و التتار فاجتمعا بولده جلال الدين الذي أخبرهما بوصول أخبار عن وفاة الملك العادل فرجعا الى دمشق دون تحقيق الهدف المنشود من هذه السفارة[6]

ثم ساد جمود العلاقة بين الطرفين عقب وفاة العادل[7] ولعل ذلك يرجع الى انشغال كلتا الدولتين بالأخطار الخارجية التي ألمت بالمشرق الاسلامي في تلك الفترة فقد انشغلت الدولة الخوارزمية بصد الهجوم الذي اكتسح أقاليمها الشرقية في حين انشغلت الدولة الأيوبية[8] بعد وفاة العادل سنة615هـ 3 في بداية الأمر بصد العدوان الصليبي على مصر و ما يلي ذلك من قيام الصراع والنزاع بين ملوك بني أيوب و الذي كان فيما بعد سببا في إعادة العلاقات بين الدولة الخوارزمية و الملك المعظم عيسى الأيوبي صاحب دمشق ولا يخفى علينا أنه بعد وفاة الملك العادل الأيوبي واحتفاظ كل ملك من ملوك

[1] سبط ابن الجوزي :مرأة الزمان في تاريخ الأعيان ،حيدر اباد ،الهند ،ج8،ط1370،1هـ،ص593

[2] مرج الصفر :مكان خارج دمشق ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5،ص101

[3] عفاف سيد صبرة:المرجع السابق ،ص149-150

[4] الخطيب الدولعي :هو جمال الدين خطيب جامع دمشق ،وهو منسوب الى الدولعية ،قرية على باب الوصل في طريق الذاهب الى الموصل من جهة نصين ،انظر ،ابن واصل :المصدر السابق ،ج5،ص45

[5] همذان :مدينة واسعة كثيرة القرى والحقول ،انظر ،اليعقوبي :المصدر السابق ،ص272

[6] ابن كثير :المصدر السابق ،ص68

[7] السلطان العادل :محمد بن امير نجم الدين ايوب بن شادي ولد بعلبك ونشأ في خدمة نور الدين وكان اخوه صلاح الدين يستشيره ويعتمد عليه كان ملكا جليلا ،توفي في 615هـ،انظر ،الذهبي المصدر السابق ،ص167

[8] الدولة الأيوبية :تنتسب هذه الدولة الى صلاح الدين الأيوبي الذي نجح في القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر كما فرض سيطرته على مصر والشام ،انظر ،حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص241

بني أيوب بمملكته أنه جرى بينهم من التضامن و الاتفاق ما كان له الأثر الأكبر في صد الحملة الصليبية الخامسة و يشير ابن الأثير الى ذلك بقوله " واتفقوا اتفاقا حسنا لم يجريهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجري بين الملوك بعد أباءهم بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق في الأخر بحيث يحضر عنده منفردا من عسكره ولا يخافه[1] الا أن هذا الاتفاق و التضامن لم يكتب له أن يستمر بين ملوك بني أيوب فقد بدأت الأطماع و الشكوك تساور هؤلاء الملوك تجاه بعضهم البعض ويتضح ذلك من خلال الزيارة التي قام بها الأشرف موسى خدمة لأخيه السلطان الكامل فأقام عنده بالديار المصرية متنزها فقد كان الغموض يكتنف على هذه الزيارة التي قام بها الأشرف لأخيه الملك الكامل هذا بالإضافة الى أن الكامل الذي كان تقلقه شخصية المعظم حرص على استقطاب أخيه الملك أشرف الى صفه[2]

وفي الجانب المقابل بدأت تظهر أطماع المعظم عيسى صاحب دمشق تزداد في السيطرة على بلاد الشام ففي شهر ذي الحجة سنة 619هـ/1222م سار الملك المعظم عيسى على رأس قواته قاصدا حماة[3] فلم يستطع الاستيلاء عليها فرحل الملك المعظم متوجه الى سلمية[4] و استلى عليها وعين عليها واليا و اتجه الى معرة النعمان[5] واستولى عليها

باختصار تعرضت الدولة الأيوبية بعد وفاة السلطان العادل للانقسام مرة أخرى بين أبنائه ،وهذا الانقسام أعطى الفرصة لظهور القوى الخوارزمية مرة أخرى فقد بدأ الملك المعظم عيسى سلطان

[1] ابن ظهيرة :الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ،تح :مصطفى السقا ،دار الكتاب ،القاهرة ،1969م،ص43

[2] أبوالبركات الحنبلي :شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ،تح :ناظم رشيد ،د.دن ،بغداد ،1978م،ص310

[3] حماة :مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات ،انظر :ابن الشحنة : درر المنتخب في تاريخ مملكة ،دار الكتاب العربي ،سورية ،د.ط ،1404هـ/1974م ،ص267

[4] سليمة :بلدة من اعمال حماة بينهما مسيرة يومين على الاقدام ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج4،ص240

[5] معزة النعمان :مدينة كبيرة قديمة مشهورة من اعمال حمص بيب حلب وحماة ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5 ،ص156

دمشق في مراسلة خوارزم شاه للاتفاق معه بعد أن علم باتفاق أخويه الكامل و الاشرف[1] عليه لذلك بعث الى جلال الدين مبعوث من قبله و هو الصدر البكري[2] محتسب دمشق و بغث معه جماعة من الصوفية الى بلاد العجم وقد حاول المعظم عيسى أن يتخذ موضوع ظهور الجراد الكبير في بلاد الشام و الذي أكل الزرع و الشجر و التمر سببا لإرسال مبعوثه الى جلال الدين فقد تحجج بأنه يوجد ببلاد العجم طيرا يقال له السمرمر يأكل الجراد وأن هناك عينا يجمع فيها السمرمر فيأخذ من ماءها قوارير و يعلقه على رؤوس الرماح فكلما راه السمرمر تبعه و لكن ابي شامة يعلق على ذلك بأن المعظم لم يقصد ذلك و انما قصد رغبته في محالفة جلال الدين ضد أخويه[3]

فاجتمع البكري بالخوارزمي و قرر الأمور معه وجعله سندا له ومن العجب أن الجراد كان قد قل ببلاد الشام فلما عاد البكري كثر الجراد و افتضح أمر الملك المعظم وقال الناس في ذلك اشعارا و علم الكامل و الأشرف بذلك التحالف و شاع بين الناس.

عند ذلك قيل للمعظم :" لو كنت أرسلت رسالة مع بعض التجار الذين يسافرون الى خرسان كان أولى"، وكافأ المعظم الصدر البكرى على عمله ذلك بأن ولاه مشيخة الشيوخ الى الجسبة [4]

ونرى أن في حكاية السمرمر مبالغة تاريخ لأن الملك المعظم عيسى ليس بحاجة الى اختلاق و إظهار مثل هذه الحكاية فأمر يتم عادة في نطاق من السرية التامة و لو فرضنا جدلا ان الملك المعظم حاول ان يوهم أخويه و الناس بهذه الرواية فربما لجأ الى ذلك عندما انكشف خبر السفارة التي أرسلها الى جلال الدين الخوارزمي فأراد أن يبعد الشكوك عن مقصده حتى يتحقق.

[1] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص243

[2] الصدر البكرى :أبو علي الحسن محمد بن عمر بن محمد التميمي النسابوري ثم الدمشقي الصوفي الحافظ ،ولد سنة 574هـ وولي مشيخة الشيوخ وحسبة دمشق ابتلى بالفارج قبل موته ،انظر ،الذهبي :المصدر السابق ،ص279

[3] أبو شامة :تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ،د.دن ،القاهرة ،د.ط ،1947م ،ص131

[4] سبط ابن الجوزي :المصدر السابق ،ص623

بعدها صراع بين الأخوة على مدينة خلاط[1]بين شهاب الدين وأخوه الأشرف موسى فخرج الأشرف بجيشه لمعاركة أخوه و استولى على خلاط بعد أن تراجع المظفر شهاب الدين ونزل الى أخيه معتذرا عما بدر منه فقبل الملك الأشرف موسى عذره وعاتبه ولم يعاقبه على ما بدر منه و أعطاه بعد أن حلف له ميافارقين[2] وحانى وجبل جور وذي القرنين وقلب السناسة ، في هذا الوقت فتح جلال الدين منكبرتي أذربيجان و سر المعظم لذلك سرورا عظيما و سارع للاتصال بجلال الدين لتوثيق العلاقة معه فأرسل باطنا رحلا صوفيا من حاذقاه السمياطي يقال له الملق يبين له اتفاقه مع مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل ضد الملك الأشرف موسى و يدعوه الى موافقتهم على ذلك وأرسل له ظاهرا مملوكه المعروف بالركين فوافق جلال الدين على طلبه لأنه وجد في دلك فرسة لتوسيع نفوذه على حساب ما جاوره من البلاد، ثم بادر الملك المعظم عيسى بتزويج ابنته المعروف بدار مرشد من جلال الدين منكبرتي حتى يضمن تحالفه معه[3] ولم يلجأ الملك المعظم الى ذلك الى معاندة لأخيه الكامل ولأخيه الأشرف صاحب البلاد الشرقية[4].

على أن جلال الدين منكبرتي كان يرغب في لإقامة علاقة حسنة مع ملوك بني أيوب فأرسل من جانبه في سنة 622هـ/1225م رسوله مجد الدين قاض لممالك الحنفي الى ملوك بني أيوب الثلاثة الأشرف، الأعظم ، والكامل و عند وصوله الى الملك الأشرف و الملك المعظم أحسنا في عطائه و حرمته غاية الاحسان[5] ولعل هذا العمل الذي أقدم عليه جلال الدين منكبرتي يعكس رغبته في احلال التفاهم و الوئام مع ملوك بني أيوب و مع ذلك فإن علاقة جلال الدين ازدادت قوة ومتانة مع الملك المعظم عيسى من ملوك الشام و الجزيرة

[1] خلاط :هي قصبة ارمينية الوسطى ،البلدة العامرة المشهورة بخيراتها ،انظر ، ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج 3،ص380

[2]ميتافاقين : أشهر مدينة بديار بكر ، انظر ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5 ،ص235

[3] أبو الفضائل ابن نظيف :التاريخ المنصوري تلخيص كشف البيان في حوادث الزمان ،تح : أبو العبيد دودو ،د.دن ، دمشق ،1401هـ/1981م ،ص 107

[4]حامد زيان غانم :الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الصليبية ،د.دن ،د.ب ،دت ،ص109

[5] المقريزي :المصدر السابق ،ص216

وقد وضح لنا المؤرخ أبو شامة أن جلال الدين خوارزم شاه كان تواق هو الاخر لإقامة التحالف مع المعظم عيسى للوقوف في وجه الخليفة الناصر لدين الله .

كان جلال الدين قد عقد العزم على التوجه الى بغداد فانزعج الخليفة وأخرج المال وفرقها على العساكر ألف ألف دينار ونصب المجانيق على الأسوار وفرق السلاح وفتح الهراء ، وكتب جلال الدين للمعظم يقول: "تحضر انت ومن عاهدني و اتفق معي حتى نقصد الخليفة ، فإنه كان السبب في هلاك أبي و مجيء الكفار الى البلاد ، وجدنا كتبه الى الخطا و تواقيعه لهم بالبلاد و الخيل و الخلع"[1] " ومع ذلك رفض المعظم عيسى هذه الدعوة الخوارزمية و رد قائلا : " أنا معك على كل حد الا الخليفة فإنه أمام المسلمين"[2] وبعد أن فتح جلال الدين العاصمة تفليس لم تكن الخلافة العباسية راضية عن الأعمال التي يقوم بها جلال الدين منكبرتي لخوفهم الشديد من تهديدات جديدة لأراضيها يقوم بها هذا الأمير الخوارزمي فقرر إفساد العلاقة بينه وبين الملك المعظم عيسى فعندما توفي الخليفة الناصر لدين الله في سنة 622هـ/1225م و خلفه ابنه الظاهر لأمر الله[3] 622هـ-623هـ عمل هذا الخليفة على اثناء الملك المعظم عيسى عن موالاة جلال الدين منكبرتي و مصالحة أخويه الكامل محمد و الأشرف موسى.

[1] محمود ياسين احمد التكريتي :الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ،دار الرشيد ،بغداد ،د.ط ،ص1981م ،ص286

[2] أبو شامة :المصدر السابق ،ص147

[3] الظاهر لأمر الله :هو أبو نصر محمد بن الإمام النصر احمد تولى الخلافة بعد وفاة والده وتلقب بالظاهر وكانت خلافته تسعة اشهر وأربعة عشر يوما وكان حسن السيرة وحسن الاعتقاد عادلا كريما كثير الخيرات والصدقة كارها للظلم وأهله ،انظر ،ابن دقماق :الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين ،تح :سعيد عبد الفتاح عاشور ،نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ،جامعة ام القرى ،ص173-174

و لهذا الأمر بعث الخليفة الظاهر رسوله مجيء الدين بن الجوزي الى دمشق حاملا الخلع للملك المعظم عيسى و إخوته و رسالة الى المعظم عيسى جاء فيها "المصلحة رجوعك عن هذا الخارجي (يعني جلال الدين)و ترجع الى اخوتك و نصلح بينكم"[1]

لكن الملك المعظم لم يذعن لذلك لمعرفة المسبقة بتخاذل الخلافة عن نصرتهم في المواطن الحرجة ضد أعداء الاسلام من الصلبيين فخشى أن تراجع عن جلال الدين أن يتمكن إخوته منه و حينئذ لا ينجده الخليفة ، وقد عبر المعظم عن عدم ارتياحه لذلك برده علر رسول الخليفة " ما لكم عادة تجدون احد. ،هذه كتب الخليفة الناصر لدين الله عندما كنا على دمياط ونستصرخ به فيجيء الجواب بأن قد كتبنا الى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا[2] وأجاب المعظم رسول الخليفة بقوله : "مثلي معكم كمثل الرجل كان يخرج الى الصلاة وبيده عكاز خوفا من الكلاب فقال أصدقائه : انت شيخ كبير و هذا العكاز يثقلك و أنا أدلك على شيء يعنيك عن حمله قال : ما هو قال : تقرأ سورة يس عند خروجك من الدار و ما يقربك كلب ، وأقام مدة فرأى الشيخ حاملا العكاز فقال له : أما قد علمتك ما يغنيك عن حملها فقال هذه العكاز لكلب لا يعرف القران "

وقد اتفق لإخوتي علي و قد أنزلت الى الخوارزمي على خلاط أن قصدني أني الأشرف منعه وإن قصدني أخي الكامل انا له[3] ،وساع المعظم عيسى[4] الى تشكيل حلف دفاعي ضد الملك الأشرف

[1] أبو شامة :المصدر السابق ،ص147

[2] ابن كثير : المصدر السابق ،ص121

[3] ابن ابيك الدوادار :المصدر السابق ،ج8 ،ص281

[4] المعظم عيسى :بن ابي بكر بن أيوب ولد بالقاهرة سنة 576هـ ملك دمشق ثمان سنوات ،مات في ذي القعدة سنة 624هـ ،انظر ،ابن طولون :تاريخ الصالحية ،تح : محمد احمد دهمان ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،بدمشق ،ط2 ،1401هـ/1980م ،ص219

و أتباعه و تألف هذا الحلف من جلال الدين منكبرتي ومظفر الدين صاحب أربل وصاحب أمد و ناصر صاحب ماردين[1]

و قد استمرت العلاقة بين المعظم و جلال الدين جيدة و كان الملك المعظم حرص على استمرار العلاقة ليقف معه منكبرتي في وجه أي حلف يهدد ملكه في دمشق كما أن السلطان الخوارزمي كان راغبا هو الأخر في ادامة هذه العلاقة فأرسل رسولا من قبله الى المعظم خلع عليه و أعطاه سنجقا[2] و حربيتين و سيفا فأظهر المعظم هذا الأمر و أصبح يلبس خلعه جلال الدين منكبرتي و فرسه في حضرة رسل الخليفة و اذا خاطب الأشرف حلف برأس جلال الدين[3] و هكذا استطاع المعظم أن يفرض نفسه على بلاد الشام و ضم حمص و حماة الى ممتلكاته.

-استيلاء جلال الدين على خلاط 627هـ:

بعد وفاة الملك المعظم عيسى تامر كل من الملك الكامل و الملك الأشرف على انتزاع دمشق من ابن أخيهما الملك الناصر داود فاضطر هذا الأخير أما أطماع عمه الاستنجاد بحليف والده السابق السلطان جلال الدين اذ سير اليه رسولا يخبره بأن أعمامه انما قصدوه لانتمائه هو وأبيه اليه و طلب منه اشغال عمه الأشرف بسرعة النزول على خلاط ومضايقتها[4] و في هذا الوقت وصلت الى الشام الحملة الصليبية السادسة بقيادة الامبراطور الالماني فرديريك الثاني بناء على طلب الملك الكامل الذي أحس بالحرج بسرعة قدومها و أن وصول الإمبراطور في هذا الوقت لن يفيده في شيء لوفاة أخيه المعظم عيسى حليف جلال الدين و اضطر في نهاية المطاف بعد مفاوضات جرت بين الطرفين الى عقد الصلح في ربيع الاول سنة 626هـ/1229م.

[1] ماردين :قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ونصين ،انظر ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5 ،ص35

[2] سنجق :جمع سناجق وهو لفظ تركي كان يطلق أصلا على الرمح ثم اطلق على الراية التي تربط به وكانت السناجق تحمل يد السلطان في مواكبه ،انظر ،ابن واصل :المصدر السابق ،ج4 ،ص25

[3] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص120-121

[4] ابن واصل :المصدر السابق ،ص24

و قد أدى هذا الفعل الشنيع الذي قام به الملك الكامل الى إثارة سخط المسلمين عامة وكأن القيامة قد قامت في جميع بلاد الاسلام و اشتدت العظائم بحيث اقيمت المأتم[1] وتذمر المؤرخون من ذلك قال اليافعي:

-" أعوذ بالله من سخط الله و من انتهاك شعائر الله و مولاة أعداء الله فكم بين من طهره من نجاسات الشرك و بين ساق اليه نجسات السرك ومن أعز دين الله ونصره وبين من أذله وخذله "[2] ، كما عبر الذهبي عن استيائه من ذلك بقوله: "وكانت هذه من الوحمات التي دخلت على المسلمين و توغرت القلوب على الكامل فإن لله و إن إليه راجعون "[3]

و في الوقت الذي كان فيه الصراعات مستمرة بين أبناء البيت الأيوبي و كان جلال الدين مشغولا بدفع التتار عن بلاد الاسلام ، انتهز الحاجب علي حسام الدين نائب الأشرف على خلاط اتجه بقواته صوب أذربيجان في شعبان 624هـ/1228م وكان الدافع الحقيقي وراء عملية الحاجب هي:

كسر شوكة جلال الدين اذ أن سيرة جلال الدين كانت جائرة و عساكره طامعة في الرعايا[4] و اتجه الى خوى و عندما علم شحنتها[5] بقربه من خوى أخلوها و فتحت أبواب هذه المدينة للحاجب فدخلها وقام أصحابه بالنهب ، بعدها سمع أهل نقجوان[6] سارعوا لمكاتبته فذهب اليهم و سلموا اليه المدينة ثم مضى الى مرند وكان سورها ضعيف فدخلها الحاجب ورتب بها يزك بعدها رجع الى خلاط و معه زوجة جلال الدين منكبرتي ابنة السلطان طغرل .

[1] سبط الجوزي :المصدر السابق ،ص654

[2] اليافعي :المصدر السابق ،ص59

[3] الذهبي :المصدر السابق ،طبقة 63،ص280

[4] ابن الأثير المصدر السابق ،ج9 ،ص348

[5] صاحب الشحنة :هو متولي رئاسة الشرطة ويقال للوظيفة الشحنة أو الشحنكية ،انظر ،ابن واصل :المصدر السابق ،ص8

[6] نقجوان :بلد من نواحي أران ،انظر ،ياقوت الحموي ،ج5 ،ص298

بلغ السلطان جلال الدين الاعتداء الذي قام به الحاجب حسام الدين على ممتلكاته و قبضه على زوجته وأخذها معه الى خلاط فأثاره هذا العمل و سار بقواته الى خلاط و لم يكتف بذلك بل تعدى تعدى خلاط الى موش[1] و جبل جور[2]

ونهب الجميع و سبى النساء و استرق الأولاد و قتل الرجال و ضرب القرى[3] و لكن جلال الدين فشل في الاستيلاء على خلاط في سنة 625هـ/1228م و لعل ذلك يرجع الى تساقط الثلوج بكثرة في تلك السنة فرجع الى بلاده خائبا ، بعدها أمر الملك الأشرف بإلقاء القبض على الحاجب فأرسل مملوكه عز الدين أيبك الى مدينة خلاط فقبض على الحاجب حسام الدين و اعتقله ، وهدف الملك الأشرف من ذلك هو كسب ود جلال الدين ويطيب خاطره على أن يتوقف عن مهاجمة ممتلكاته مرة أخرى. إلا إن هذه الأفعال لم تجد نفعا في إثناء جلال الدين عن حقيقة أهدافه فوجه قواته و أثقاله جهة خلاط و كان قد تفرغ من كسر شوكة الكرج و تفريق جموعهم ، وتوجه جلال الدين الى نخجوان[4] و تزوج ابن صاحبها ثم نظر جلال الدين في أحوال أهل خراسان و مازندان وقضى مطلبهم لأنه كان يعلم انه اذا حاصر خلاط سوف تنقطع الطرق وتضطرب أحوال تلك الديار[5]

و لما علم أعل خلاط بقدوم جلال الدين قاموا بتحصين المدينة و لم يستطع جلال الدين اختراقها وقام بتفريق عساكره في القرى و البلاد القريبة من خلاط[6] و لما بلغ صاحب أرزن عزم جلال الدين على الاستيلاء على خلاط خاف من بطشه فأسرع بالقدوم على جلال الدين و بذل له فروض الطاعة و الولاء فعفى عنه السلطان و طلب منه أن يسير الى خلاط ما يقدر عليه من ألات

[1] موش :بلدة صغيرة من ناحية خلاط بارمينية ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5 ،ص223

[2] جبل جور :اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي ارمينية ،كان أهلها نصارى أرمن وفيها قلاع وقرى ،انظر :ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج3 ،ص102

[3] المؤيد إسماعيل أبو الفدا : المصدر السابق ،ص141

[4] تخجوان :بلد بأقصى أذربيجان ، انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج2 ،ص276

[5] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص297

[6] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص380

الحصار و غايته من ذلك كسب ود جلال الدين و يضمن عدم غدره و مساعدته على ابن عمه صاحب الروم علاء الدين كيقباذ سير اليه منجنيقا كبيرا سموه قرابغرا و سير تروسا[1] و جنويات و نسابات كبيرة[2]

وقد استمر جلال الدين في تضييق الخناق حول المدينة فعم القحط و غلت الاسعار و كانت أثار ذلك ترى من وراء الأسوار و بلغت القلوب الحناجر وأخذوا يرسلون رسلهم خفية الى بغداد و بلاد الروم و الشام علهم يشفعون لهم عند جلال الدين [3]كما أرسلوا الى الملم الكامل صاحب مصر يطلبون منه النجدة الا انه لم يقدم لهم اي معونة تذكر خشية من كسر شوكته أمام جلال الدين خاصة بعد أن وطد أقدامه في بلد الشام و الجزيرة[4]

صبر أهل خلاط وصابروا في مقاومة هذا الحصار الشديد و بلغت بهم الحاجة عندما قلت الأقوات الى أكل الكلاب و السنانير بل أنهم كانوا يصطادون الفئران و يأكلونها[5] و يصور لنا النسوي الحالة التي وصلت بأهل خلاط فيذكر أنه " خرج منهم في يوم واحد قرابة عشرين ألفا إنسان و قد تغيرت صورهم بالجوع حتى أن الأخ كان لا يعرف أخاه و الوالد ولده فكان شرف الملك يطعمهم فيذبح كل يوم عدة أبقار لهم فما سرت النفوس الناحفة و لا الارماق التالفة ومات أكثرهم و تفرق الباقون ايدي سبأ[6].

[1] تروسيا :جمع ترس وهو صفحة الفلاذ مستديرة تحمل في اليد يتلقى بها ضرب السيف ونحوه ،انظر ، عبد الرحمن زكي :المرجع السابق ،ص16

[2]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص301-302

[3] الجويني :المصدر السابق ،ص78

[4] المقريزي :المصدر السابق ،ص163

[5] السبكي :المصدر السابق ،ص341

[6]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص311

و أشفق الخليفة العباسي المستنصر بالله[1] على أهل خلاط فأرسل رسالة الى جلال الدين منكبرتي يلتمس منه عدة أمور منها :

اعادة الدعاء للخليفة على المنابر في مملكة جلال الدين لعد ان اسقطها والده علاء الدين محمد عندما عجز عن دخول بغداد ،فاصدر السلطان جلال الدين أوامره الى عامة مملكة بالدعاء للإمام أبي جعفر المستنصر بالله و منها الشفاعة لأهل خلاط[2].

و عندما تسنت العلاقة بين الخليفة العباسي و جلال الدين وجد رسولا الخليفة في ذلك فرصة في طلب الشفاعة في اهل خلاط و رفع الحصار عنهم و تقليص الخناق عنهم فتوقف حلال الدين عندما طلب منه ذلك و لم يرد عليهما جوابا فرجع رسولا الخليفة الى مقر إقامتهما و سير اليهما النسوي فيما بعد معاتبا لهما على طلبهما قال: " قد ذكرتما فيما بلغني عن أمير المؤمنين ان نريد اعلاء أمرك وإجلال قدرك و تعظيم شأنك و تحكيمك على ملوك زمانك ثم تشيران علي بإزالة الحصار عن خلاط بعد أن الفتح فتورد يشيره و النجح قد أسفر تباشيره و هذا مما ينافي ما ذكرتما من عنايات أمير المؤمنين "[3]فلم يكن في وسع رسولا الخليفة الا أن يقرا و يصدقا ما ذكره السلطان

و استمر الحصار على خلاط ما يقارب عشرة أشهر و أهلها في الستماته فقام اسماعيل الايواني بإخراج أحد أصحابه من السور ليلا ليذهب الى جلال الدين يلتمس منه إقطاعا من أذربيجان مقابل مساعدته على دخول خلاط[4] سار جلال الدين باستغلال هذه الفرصة فأقطع الايواني سلماس

[1] المستنصر بالله :هو أبو جعفر عبد الله بن ظاهر محمد بن ناصر بويع للخلافة سنة 623هـ وعمره عشرون سنة لقب بالمستنصر بالله ومات سنة 639هـ وقيل 638هـ كان حازما جيدا للسياسة كثير العدل والإحسان ،انظر ،ابن دقماق :المصدر السابق ،ص174

[2] ابن الفوطي :الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ،دار الفكر الحديث ،بيروت ،لبنان،1407هـ/1978م،ص304-305

[3] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص310

[4] سبط ابن الجوزي :المصدر السابق ،ص659-670

وعدة ضياع بأذربيجان متفرقة و اكي يطمئن جلال الدين رسول الايواني حلف له على تقريرها بيده و رجع رسول محقق أطماع إيوان ، واستعدت قات جلال الدين للهجوم و بدأ الايواني في تنفيذ ما اتفق عليه فأدلى بالحبال من على اساور خلاط ليلا ليصعد اليها عسكر جلال الدين فعلا تسلقت مجموعة من العسكر الخوارزمية و معهم الأعلام و صعدت الى داخل الابراج فلما أصبح الصباح زحفت القوات الخوارزمية على ثمة في سور اخلاط كان المنجنيق قد أحدثها الا أنهم لم يتمكنوا في البداية من الدخول عن طريقها لوجود بقايا القيمرية[1] التي كانت تقف بالمرصاد و لكنهم هزموا و سقطت خلاط بين ايدي جلال الدين منكبرتي و أسر مجموعة كبيرة من أمراء القيمرية و غيرهم صمدوا و لم يتفرقوا عن مواقعهم و تحصن عز الدين ايبك و مجبر الدين ة تقي الدين أبناء الماك العادل الأيوبي في قلعة خلاط[2]

وما ان سقطت هذه المدينة حتى فعل عسكر جلال الدين بأهل خلاط الأفاعيل فقد عمدوا الى تخريب وأكثروا في سفك الدماء و لم ينج منهم الا من هرب كما قاموا بنهب الاموال وسبي الحريم و استرقاق الاولاد و بيعهم فكان قرحا على قرح و ملحا فوق الجرح لب بلغ بهم الامر الى ان استخرجوا دفائن خلاط و خباياهم ومن يظفر منهم أحد الخلاطية يعذبه اشد العذاب[3]

و نحن نتعجب من ذلك أشد العجب اذ كيف يفعل ذلك بالمسلمين و كيف تنتهك الحرمات و تستباح الأعراض و الاموال من قبل دولة اسلامية لو كان هذا العمل الذي أقدم عليه الخوارزميين من قبل دولة كافرة لقبلناه كارهين و لكن " و ما ربك بغافل عما يعمل الظالمون " و قد وصفهم ابن تغري بقوله :" وكانوا شرا من التتار لا يعفون عن قتل و لا سبى و لا في قلوبه رحمة[4]

[1] القيمرية :نسبة الى قيمر وهي قلعة بين الموصل وخلاط ،انظر ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ص238

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص320-321

[3] ابن العديم :زبدة حلب من تاريخ حلب ، تح :سامي الدهان ،د.دن ،بيروت ،ط1، 1387هـ ،ص954

[4] ابن تغري بردي :المصدر السابق ،ج6 ؛ص321

بعد هذه الأعمال الوحشية الهمجية التي أقدم عليها جيش جلال الدين يأتي النسوي و يبرر عمله ذلك بقوله: " إن جلال الدين اراد ان يحمي خلاط مما حصل بها من النهب و القتل و لكن عسكره غلبوه على ذلك بعد أن حضر اليه الأمراء و بينوا له حقيقة الامر فقالوا : ان تطاول مدة الحصار قد أعصف عسكرك وأفني خيلهم دوابهم فإن منعتم النهب قعد بهم الصعف عن لقاء عدو يتحرك و لعل الضعف يفضي بهم الى تشتت الشمل و انتشار الحبل" فكان من عساكره ما كان[1] ، فدخل جلال الدين خلاط في 28 جمادى الاول 627هـ/1232م بعدها نزل اليه مجبر الدين ابن الملك العدل الأيوبي و قام بعفو عنهم وطلبوا الامان لعز الدين أيبك و امنه بعدها قام جلال الدين بترميم و اصلاح ما افسده بها وصرف من خزانته ما يقرب اربعة الاف دينار كما جدد سور المدينة ولكن يضمن جلال الدين ولاء الامراء و القواد له بإقطاعهم الكور من أعمال خلاط[2]

وكان لذلك الانتصار و الشأن الذي بلغه جلال الدين أكبر اثر في تخوف الأيوبيين وسلطان سلاجقة الروم منه الامر الذي دعاهم الى تكوين حلف لصد الاعتداء على املاكهم خاصة وأنه دمر مدينة خلاط التي كانت تضاهي مصر في ثرواتها و مواردها.

فالجيش جلال الدين هو السبب في تكوين هذا الحلف لانهم خافوا على ممتلكاتهم من هذا الجيش المرتزقة الذي لا يحترم لا سلطانه ولا الأماكن التي يدخلها فهمهم الوحيد هو الضفر بأكبر الغنائم وهذا مااثر سلبا على جلال الدين لأن جيشه في العديد من مرات يخذله وكبر دليل ما حصل في غزنة عندما انتصر جلال الدين على جنكيز خان ولكن أطماع جيشه وصراعاتهم على الحصون حول النصر الى هزيمة بسبب التفرقة كما ان هذا الجيش يقوم باعمال همجية جعلت الدولة الإسلامية تنفر من جلال الدين خوفا من جيشه واكبر دليل على ذلك ماحصل في مدينة خلاط

[1] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص321

[2] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص186

4-تحالف سلاجقة الروم مع الأيوبيين ضد جلال الدين :

لقد بدأ هاجس الخوف والقلق يدب في نفوس حكام المسلمين المجاورين لجلال الدين منكبرتي فبادر سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ بإرسال رسله إلى جلال الدين منكبرتي أثناء حصاره خلاط وكان معهم هدايا والطاف يرتهن بها رضاه فإنطلقوا حتى وصلوا إلى أرزنجان[1] فمنعهم صاحب أرزن الروم[2] من الوصول إلى جلال الدين وقد مجاهزا بعداوة جلال الدين وعداوة سلطان الروم ومواليا للملك الأشرف ،فأقام الرسل أرزنجان حتى دخل صاحب أرزن الروم إلى طاعة جلال الدين ،عندها قدموا بما معهم من الهدايا إلى جلال الدين ولم يحسن أتباع جلال الدين إستقبال رسل صاحب أرزن الروم لعدم رغبتهم في مصافحته ولإحتقارهم لما أحضره أولئك الرسل م هدايا والطاف وأخذ الرسل في عرض طلباتهم على جلال الدين ،من ذلك أنهم خطبوا إبنة جلال الدين لإبن صاحبهم تأكيدا للألفة وإزلة الوحشة والفرقة فلم يتم لهم ذلك أنهم طلبوا من جلال الدين يأذن لهم في السيطرة على أرزن الروم وأن يسلم صاحبها إليهم لينتقموا منه ،فغضب جلال الدين ورفض إقتراحهم وقال ،

يذكر النسوي: "هذا المذكور المطلوب ،وإن هتك متهك معي ستر الحجاب الحشمة فقد دخل على دخول العرب وقبيح بمثلي إحتقار حق مقدمه وتسليمه إلى من يعطش دمه "

ويصور لنا النسوي:مدى الإهانة و الإحتقار التي لقيها رسل سلطان سلاجقة الروم فيذكر أنه دخل عليهم شرف الملك وجد رسل الروم جالسين وبدا يقلل من هيبة صاحبهم فقال :"لو أذن لي السلطان لي دخلت بلادكم وحدي وفتحتها بجندي[3]

[1] أرزنجان :احدى مدن ارمينية بين سيواس الروم وبين كل من المدينتين أربعون فرسخا وكان غالب أهلها من الأرمن فيها المسلمون وتسمى أيضا أرزنكان ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج1 ،ص150

[2]أرزن الروم :مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة وكانت نواحي ارمينية ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج1 ،ص150

[3]النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص317-318

وعلى أية حال عادت رسل سلطان الروم دون تحقيق الهدف المنشود وأخبروا صاحبهم بما حصل لهم من التوبيخ والتقريع والتهديد وعدم الرغبة في إخلال الود معه[1] ويرى أحمد حافظ حمدي :أن الهدف من إرسال الرسل من قبل سلطان الروم هو محاولة إقامة تحالف بينه وبين جلال الدين منكبرتي لتوحيد القوى الإسلاميةضد القوات المغولية القادمة من الشرق[2]

والواقع أن هذا العمل الذي أقدم عليه الخوارزميون كان بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير إذ أنه كان السبب الذي دفع صاحب الروم إلى تأليب الحكام المسلمين المجاورين ضد جلال الدين ،الذين أفزعتهم الأعمال الهمجية التي أقدم عليها أتباعه في الكثير من البلدان التي دخلوها وكان أخرها خلاط ،إضافة إلى أن إنصمام حاكم أرزن الروم إلى جلال الدين ومساعدته له في حصار خلاط قد أقلق إبن عمه علاء الدين كيقباذ وكان بينهما عداوة مستحكمة فخشى من إتفاقهما عليه لذلك بادر علاء الدين بتجميع القوى للوقوف في وجه التوسع الخوارزمي ورد الإعتباره[3]

كما أرسل السلطان الروم رسالة إلى جلال الدين منكبرتي تحمل في طياتها تهديده وتحذيره من مغبة أعماله حيث قال فيها عن قوة البيت الأيوبي وهذا نصها :"ولهم الأموال والبلاد والرجال والأولاد والقوة،وأنت فلا أموال ولا رجال ولا قوة وبلادك خربة ونحن نعرف حالك أكثر منك،ولا تظن أني عدوهم لا والله بل صديقهم ونسيبهم بما بيننا من الأهلية والمصاهرة وإختلاط الدم ولعمي معز الدين منهم الأولاد ولي منهم الأولاد ولا شك جرى بيننا قضية عاتبتهم عليها وعدنا إلى ما كنا عليه فلا تعتقد غير هذا والمصلحة عندي نصحك فتصالحهم وتعتد بهم أصدقاء ،فكان الجواب أن قال لرسولي عد إلى صاحبك والجواب يصل مع قاصدي[4]

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص318-319

[2] حافظ احمد حمدي : المرجع السابق ،ص213

[3]ابن خلدون :المصدر السابق ،ج5 ،ص353

[4] ابن العبري :تاريخ الزمان ح إسحاق أرملة ،دار الشرق ،بيروت ، لبنان ، 1986م ،ص276

وهو بذلك يريد أيضا أن يبين لجلال الدين مدى الصلات القوية بسبب المصاهرة بينه وبين بني ايوب وأن الخلات بينهم لا يمكن أن تؤدي إلى تخليهم عنه في ساعة الشدة لم تكن هذه الأعمال تحدي مع جلال الدين منكبرتي فسارع علاء الدين بمراسلة الملك الكامل ،وكان نازلا بحران وطلب منه أن يبعث إليه بقوات الشام بقيادة الأشرف ولشدة خوف علاء الدين من جلال الدين تابع رسله إلى الملك الكامل فما كان من الكامل وهو يعلم مدى الخطر المحدق بهم إلا أن استدعى أخاه الأشرف من دمشق فحضر عنده ،ورسل علاء الدين متتابعة يحث الأشرف على المجئ للإجتماع إليه بل بلغ الأمر بعلاء الدين كيقباذ أنه أرسل في يوم وأحد خمسة رسل إلى الكامل والأشرف يحثهما على سرعة قدوم الأشرف إليه بقواته[1]

وجد الأشرف الفرصة سانحة له للإنتقام من جلال الدين من جراء ما فعله بمملكته في خلاط ،وما فعله مع زوجته خاصة بعدما وصل إليه حسام الدين القيمري زوج أخته هاربا من خلاط إلى الرقة ،وأخبره عن ضعف جلال الدين وقلة من معه من المعسكر وأن في إستطاعتهم الإنتصار عليه وكان الكامل قد عزم على العودة إلى الديار المصرية ولم يرغب في المشاركة في مقابلة جلال الدين ، فلم يعجب ذلك الأشرف وملوك الشام ولم يستطعو منعه من العودة إلى مصر ،وعندما حضر القيمري وبين للأشرف ضعف جلال الدين سيره إلى الكامل وهو في طريقه إلى دمشق ليخبره بذلك عله يرجع إليهم ، فعرفه ثم عاد إليه[2]

[1] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص381

[2] ابن كثير :المصدر السابق ،ج13 ،ص136-137

ثم وصلت كتب عز الدين أيبك[1] إلى الأشرف يخبره بما هم عليه من تشديد جلال الدين عليهم وأنه عازم على خنقهم بعد هروب القيمري لخنقه وأن الخوارزمي توجه من خلاط ونحن بصحبته[2] إلى منازجرد[3]

إزداد سلطان سلاجقة الروم في تلطف للأشرف وأرسل إليه رسولا يحمل رسالة منه جاء فيها:"مخدومي السلطان علاء الدين كقيباذ يخدم المولى ويقول له محبتي ومودتي وصداقتي ما تغيرت بل زادت ،وإنما لعن الله من كان السبب ،ولا يحسب المولى أنني ما ذكرته في نجدة السلطان الكامل إلا لتأكيد مودة وغرض أبلغه والآن فبلادي وأموالي بحكمك فتصل قولا وأحد بالعساكر إلى قرشهر[4] وتنجرد وحدك وتصل إلى عندي بقيسارية[5] نتفرج ونحظى بخدمتك ونصل أنا وأنت إلى العسكر بالعساكر ،فوالله لأقنعت لك بخلاط بل بجميع البلاد[6]

ثم أرسل صاحب الروم كتاب أخر إلى رسوله يقولله "لاتجيء بالأشرف إلا سيواس[7] حتى يتعب ويبقى العسكر في قرشهر" وكان معه نسخة يمين من صاحب الروم إلى الأشرف ،سر الأشرف بذلك وأراد هو الأخر التلطف لسلطان الروم فقال لرسول علاء الدين "ماأحلف بهذا اليمين بل أنا أصل بنفسي جريدة إلى خدمته[8]

---

[1] عز الدين ايبك :هو أحد مماليك الأيوبين وكان نائبا للملك الأشرف على مدينة خلاط ،انظر ،النسوي :سيرة السلان جلال الدين ،ص322-323

[2] ابن الأثير : المصدر السابق ،ج9 ،ص381

[3] منازجرد :بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم واهاها ارمن ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5 ،ص202

[4] قهر شهر :مدينة كبيرة ذات مباني جميلة غرب قيصرية ،انظر ،كي لسرنج :المرجع السابق ،ص179

[5] قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة في بالد الروم ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج4 ،ص421

[6] أبو الفضائل :المصدر السابق ،ص204-203

[7] سيواس :مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع في اسيا الصغرى ،انظر ،كي لسترنج ،المرجع السابق ،ص180

[8] أبو الفضائل ابن نظيف : المصدر السابق ،ص204

كل هذه الأمور مجتمعة دفعت الأشرف إلى تجهيز العساكر والمسير بهم إلى علاء الدين وكان معه نحو خمسة الألاف فارس ،ورغم قلتهم إلا أن فيهم من الشجاعة والدراية أمور الحرب ما يرهب الأعداء إضافة إلى كل إضافة إلى ما معهم من السلاح الكثير والدواب الفارهة من العربيات وغيرها[1] كما قام الأشرف بمكاتبة حلب وأهل الموصل والجزيرة يستنصرهم للوقوف في وجه الخوارزمي وقد اجابوه إلى ذلك لخوفهم من وصول جلال الدين إليهم[2]

وعندما علم صاحب أرزن الروم بهذا الإتفاق ذهب إلى جلال الدين وكان نازلا في منازجرد لترتيب عساكره , فإعلمه بما أقدم عليه صاحب الروم وملوك الشام حيث قال له "إن علاء الدين ملك الروم قد جدد الصلح مع ملوك حلب والشام وإتفقوا على مهاجمة السلطان وقاموا بحشد الجنود ،وهم يهددوني ،دائما قائلين لولم يكن السلطان قد وجد منك المدد على باب خلاط لما إستطاع التوقف هناك [3]"

وطلب من جلال الدين أن يباغتهم قبل أن يجتمعوا فيصعب على السلطان هزيمتهم ،وإستحسن جلال الدين رأيه وإتفق معه على ركن الدين أرزن الروم ليعد العدة ويجهز العسكر للقاء

الحلف السلجوقي الأيوبي،ويرحل هو بعده بخمسة أيام في عساكره وحدد نقطة إلتقاء العسكرين في نواحي خرتبرت وحتى يطمئن جلال الدين ركن الدين كتب له توقيعا بناحيتي كنعين وخريشين من أعمال خرتبرت ،فسر الركن الدين لذلك رجع إلى آرزن لتنفيذ ماإتفق عليه من قبل[4]

وفي شعبان من سنة 627هـ/1229م وصل الأشرف إلى علاء الدين كيقباذ بسيواس وكان في صحبته أخويه شهاب الدين غازي والعزيز عثمان وكذلك الجواديونس وبقية الأمراء الكبار،فإستقبلهم

[1] ابن واصل :المصدر السابق ،ج4 ،ص298

[2] عماد الدين خليل :الأرتيقية في الجزيرة والشام ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط1 ،1400/1980م ،ص188

[3] النسوي :سيرة السلطان ،ص329

[4] نفسه ،ص329

علاء الدين كيقباذ وسربهم وتبعتهم العساكر الشامية وعند وصولهم خرجوا إلى إستقبالهم في الملوحة وحملوا إليهم الإقامات والتقادم والنفقة مالا عظيما[1]

وبعد فترة وجيزة وصل الخبر بوصول صاحب حمص الملك المجاهد نجدة لهم ولكن سرعان ما وصل الخبر بعودته من حلب بسبب أمور جرت وأناب عنه إبنه المنصور إبراهيم ولي عهده ،فسار بعساكره نجدة لهم ولكن سرعان ما وصل إلى مقر إجتماع القوات الأيوبية السلجوقية[2]

وأعلن السلطان جلال الدين منكبرتي النفور العامة وأمر العسكر بإجتماع إليه لتنفيذ ماإتفق عليه سابقا مع صاحب آرزن الروم وسار بقواته إلى خرتبرت وأقام بها فترة ينتظر إكتمال العسكر ،وسمعت القوات المتحالفة ضد جلال الدين بمسيره صوب أرزن الروم فملئت القلوب حوفامن ذلك وكان من رحمة الله سبحانه وتعالى ولطفه أن مرض جلال الدين منكبرتي مرضا شديدا أقعده الفراش فلم يستطيع مواصلة المسير ويعلق إبن نظيف الحموي "إنه لولا مرضه كان سبق إلى البلادالرومية وحصل على عرضه منها"[3]

وإستبطأ صاحب أرزن الروم قدوم جلال الدين فأرسل إليه الكتب الواحد تلو الأخر يحثه على سرعة القدوم ويخبره بتحرك عسكر التحالف ، كل ذلك وجلال الدين في شغل عن قراءتها لما ألم به مرض أعياه من الوقوف عليها وما أن خف المرض حتى تجهز للمسير وترك أحد قواده بعسكره على منازجرد

ولم يستلحق العساكر الأرمينية الأذربيجانية والعراقية والمازندانية إذ سبق ,أن أذذن لهم بالعودة إلى أوطانهم ،كل ذلك إستحفافا وعدم مبالاة بالقوات المقابلة ووصل وبدأ الإستكشاف والإستطلاع[4]

[1] ابن العميد :أخبار الأيوبيين ،مكتبة الثقافة الدينية ،د.دن ،مصر ،د.ت ،ص17

[2] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص205

[3] نفسه ،ص206

[4] النسوي سيرة السلطان ،ص330

وإستدعى صاحب الروم عسكره الموجود بأرزنجان ولم يخبر الأشرف بذلك فتحركت العساكر من أرزنجان في إثني عشر ألف فارس نجده له في شرق البلاد ،ونزلو لأي مرج ياسي مرج[1] للراحة ووضعوا اسلحتهم وأطلقوا خيولهم للمرعى ولم يعملوا بقرب القوات الخوارزمية منهم فباغتتهم وهم على حالهم ذلك فقتللت منهم مقتلة عظيمة وأسرت فلم ينجوا إلا جريح أوهارب توغل في الجبال وكان ذلك في الخامس والعشرون من شهر رمضان سنة627هـ/1229م نما خبر هذه الهزيمة إلى المتحالفة فشق ذلك على الأشرف وقال"ليت كان المولى عرفنا بطلبهم كنا لقيناهم"[2]

أما علاء الدين فلم يستطيع تمالك نفسه لما سمع الخبر المزعج وخارت قواته وفترت عزيمته عن لقاء عدوه حيث كان يفتخر أمام حلفائه بقواته القادمة من أرزنجان ويقول لهم "ليس هذا العسكر الذي ترونه من العساكر اللذين إتكل عليهم في لقاء العدو دائما رجالي وأبطالي وعسكري عليهم إتكالي عسكر الشرق وأنهم واصلون "[3]

وقرر علاء الدين الإنسحاب والعودة إلى بلاده والإقتصار على الدبندات[4] التي وراءه ولكن القوات المتحالفة لم تكن لترضى بذلك إذ كيف يتخلى عنهم في هذا الموفق الصعبة أمام جيش متسلط لا يبقى ولا يذروهم في أمس الحاجة إلى تكثيف سوادهم لتحقيق مرادهم ، فذهبوا إليه وواسوه على ماحصل لقواته على يد جلال الدين ورفعوا من معنوياته ليثبت معهم في القتال ،فقويت عزيمته بذلك وأصر على الإنتقام من القوات الخوارزمية[5].

[1] ياسي مرج :هو من الأعمال أرزنجان ، انظر ،أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص207

[2]الذهبي ، المصدر السابق ،ص33

[3] النسوي :سيرة السلطان ،ص331

[4]الدبندات :كلمة فارسية يعني بها سنبلة من حديد ينقفل بها باب الدكان أو تستعمل في الطرقات ،انظر ،النسوي ،سيرة السلطان ،ص36

[5] رشيد الدين الهمذاني :المصدر السابق ،ص44

ولم يكن الخوف والرعب الذي حصل لصاحب الروم من جراء ما فعله القوات الخوارزمية بعسكره مقتصرا عليه وحده بل أن الخوف دب إلى قلوب كثير من الناس وتفرقت عساكر القوات المتحالفة لإعداد الترتيبات النهائية إستعداد لمواجهة القوات الخوارزمية القادمة لملاقاتهم[1]

ففي يوم الخميس من شهر رمضان المبارك سنة 627هـ/1229م فوجئت القوات المتحالفة بوصول القوات الخوارزمية متتابعة ،وكان قد بلغهم أنهم لن يصلواإليهم إلا في يوم الجمعة ومن حسن حظهم وكان قد بلغهم أنهم لن يصلوا إليهم إلافي يوم الجمعةومن حسن حظهم تلك القوات لم تكن تواصل المسير كانوا يقفون أثناء سيرهم حتى ترهق قواتهم لو ساقوا على فورهم لا عضل الداء وعسر الثبات وعظم البلاء" [2]

عندئذ سارعت القوات المتحالفة بترتيب قواتها ،فوضعت العساكر والحاشية في الأول ثم العرب ثم الحلبين ثم شمس الدين ثم الملك الجواد ثم العزيز عثمان بن شهاب الدين غازي ثم تبعتهم إطلاب[3] الروم وبقي كل من كيقباذ والأشرف في طلبة الخامس[4]

تمركزت قوات الحلفاءفي أرض وعرة أعاقت حركتها ، فبادروا بالإنتقال إلى أرض مستوية تمكنهم من التنقل بيسر وسهولة في ميدان القتال ،وما أن تم لهم ذلك حتى طلعت عليهم طلائع جلال الدين فتقابلت مع العرب وجرى بينهم قتال شديدة تمكن فيه العرب من إلحاق الهزيمة بهم في الثامن والعشرون من رمضان سنة 627هـ/1229م وأسروا وقتلهم وغنموا إعداد خيولهم[5].

[1] سبط ابن الجوزي :المصدر السابق ،ج8 ،ص660

[2]النسوي :سيرة السلطان ،ص331

[3] إطلاب :جمع طلب وهو لفظ كردي معناه وحدة متألف من قائد له معقود وبق مضروب يقود عددا من الفرسان ،انظر ،ابن واصل :المصدر السابق ،ج4 ،ص67

[4]ابن ابيك الدوادار :المصدر السابق ،ج7 ،ص300

[5] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص207

ويصور لنا الذهبي نقلا عن شاهد عيان لتلك المعركة مدى الضعف الذي كان تعاني منه القوات الخوارزمية فيقول :"و عرفنا قتالهم ونشابهم وضعف خيلهم وقلة فروسيتهم فتبدل خوفا منهم بالطمع وإحتقرناها وتعجبنا كيف غلب هؤلاء أمما كثيرين [1]

ثم تشجعت القوات المتحالفة وساروا إلى عاقبة مطلة على معسكر القوات الخوارزمية وأعاد ترتيب قوادهم بحيث أصبحت الميمنة والميسرة لصاحب الروم وهو المسؤول كذلك على الدربندات أما القلب والأجنحة فكانت تحت إشراف الأشرف وكان من ضمن الأجنحة صاحب الروم إبن صاحب خرتبرت ومن أجنحة الأشرف الملك النصور إبن الملك المجاهد صاحب حمص وكانت عساكر التحالف من الكثرة بمكان حتى أن إبن نظيف الحموي ذكر ذلك "كان الرومي من الخلائق ما طبق الأرض منها التركمان والأرمن والفرنج والمسلمين وغيرهم من الشاميين[2]

في يوم الجمعة تجهز الخوارزمي ورتب عساكره إستعدادا للقتال ،وأخفى مجموعة من أتباعه في الأودية كيدا منه ثم أمر بمن بقي من عسكر أرزنجان وكانو خمسمائة فضربت رقابهم فخاف الحلفاء من ذلك وكان بينهم وبين جلال الدين حبل عظيم وإلى جانبه واد عظيم ولم يبق معهم زاد ولا ماء ولا علف لدوابهم فقال الأشرف من شدة الخوف "لانحشر إلا تحت حوافر خيولنا أين المفر؟[3]

وتقدمت القوات الخوارزمية فقطعت الوادي ووقف جلال الدين على رأس الحبل ،ولما رأى الأشرف قلة عساكر جلال الدين قويت نفسه وطمع فيهم فسار إليهم وملك عليهم أكثر منزلتهم ،وعندما حل الليل تراجع الأشرف وعلاء الدين إلى معسكرهم ورتبواإليزكية كما جرت عادتهم في أكثر حروبهم[4]

[1] الذهبي :المصدر السابق ،ص33

[2] أبو الفضائل ابن نظيف ،المصدر السابق ،ص207-208

[3] سبط ابن الجوزي :المصدر السابق ،ص661

[4] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص208

وفي هذا الوقت بدأ الخوف إلى نفس السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي عندما رأى قوة العسكر الذين مع الأشرف وتجملهم وفراهة دوابهم وحسن سلاحهم وقوتهم فبهت من ذلك وملئ منهم رعبا[1]،وضعفت عزيمته وكاد يهرب لولا أن فر جماعة من صفوف الحلفاء فشجعوه وقالو له :"إن الرومي والأشرف قد خافاك ةتأخر عن التل فقويت عزيمته للقائهم"[2]

وفي الوقت ذاته فر من معسكر إثنان من أتباعه وإنضم إلى الأشرف فرحب بهما رغبة منه في الحصول على أكبر قدر ممكن من الأخبار المتعلقة بالقوات الخوارزمية فسألهما عن عددهم فقالوا :هم ثلاثون ألف وأخذ الأشرف ينتقل بين الصفوف يشجع الناس ويرفع من روحهم المعنوية ويحقر من شأن عدوهم ولما أصبح الصباح إستعدت القوات المتحالفة لمنازلة جلال الدين في معركة فاصلة بين الطرفين[3] إذا أنها يحدد مصير كل واحد منهما فالخاسر منهما لن تقوم له قائمة بعدها بسبب طبيعة العصر الملئ بالحوادث الجسام وهذا الأمر يدعونا إلى إلقاء اللوم على هؤلاء الزعماء حيث أن الخاسر في المعركة سيكون على حساب القوات الإسلامية لصالح الأمم الكافرة كاتتار والصليبين وغيرهم المتربصين بالمسلمين الدوائر إذا كان بإمكانهم تلاقي هذا الصراع في هذا بالذات والعمل على توحيد الجبهة الإسلامية لطرد الصليبين أولا من الشام ثم الوقوف في وجه القوات التترية التي فعلت الأفاعيل بالمسلمين ولازالت تواصل جهودها للسيطرة غلى كثير من البلدان الإسلامية وكذلك نلقي االلوم على الخلافة العباسية والقوى الإسلامية الأخرى التي لم تلعب دور الوسيط في إنهاء هذا الخلاف والإصلاح بين القوات الإسلامية مع أنها سوف تتضرر هي الأخرى من النتائج المرتبة على ذلك فيما بعد قال الله تعالى {إن طائقتان من المؤمنين إقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحداهما عن الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتي تفئ إلى أمر الله فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين}[4]

[1] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص381

[2] الذهبي :المصدر السابق ، طبقة 63، ص33

[3] الذهبي ،نفسه ،ص33

[4] سورة الحجرات : أية ،9

في التاسع والعشرون من رمضان سنة 627هـ/1229م إستدعى الأشرف الهاربين من الجيش الخوارزمي وسألهما عم موضع جلال الدين فأخبروه "أنه على ذلك التل وشعره في كيس أطلس وعلى رأسه كتفه برجم صغير مخيط بقبائه"[1]

فوقع الجاليش[2] وحملت ميمنة جلال الدين على ميسرة علاء الدين وسيطرت على التل الذي تمركزت عليه مسيرة علاء الدين ثم عادوا وحملوا على الخوارزمية ،ثم رجع الخوارزميون مرة أخرى كسروا ميسرة علاء الدين ، فاردف الأشرف المسيرة بأخيه الحافظ وأردف الرومي بصاحب خرتبرت وتمكنوا من زحزحة ميمنة جلال الدين عن التل وإنزالها في الوادي وتتابعت الحملات عليهم ثم تقدم الأشرف إلى عسكر مصر وهم في ألف وخمسمائة فارس وإلى عسكر حمص وحلب وحماة فإنتقى منهم ألف فارس ، وأرسل بعض الأمراء العرب في ألف فارس منهم فهجموا على التل المقيم عليه جلال الدين ففوجئ بهم وأيقن بالهلاك فلاذ بالفرار[3]

ويذكر الجويني :أن سبب هزيمة جلال الدين تعود إلى ضعف صحته حيث لم يتمكن من التمسك بزمام جواده فإنطلق الجواد يسرع على غير بصيرة فقال خاصته يجب أن ينال السلطان راحته فعادت الرايات لهذا السبب فلما رأت صفوف الميمنة والميسرة ذلك ظنوا السلطان إنهزم فتراجعوا "[4]

ولما رأى جيشه فراره وكانو قد أعيتهم الحرب ووقعت بهم الواقعة إنهزموا وراءه أما الذين حملوا على مسيرة الرومي أحاطت بهم الجيوش فلم يفلت منهم أحد[5]وتفرقوا في الجبال والشعاب والأودية والبيوت

[1] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص208

[2] الجاليش :معناه في الأصل الراية العظيمة في راسها خصلة من الشعر ثم أطلقت على مقدمة القلب في الجيش أو الطليعة ،انظر ،ابن واصل :المصدر السابق ،ج2 ،ص31

[3] الذهبي :المصدر السابق ،طبقة 63، ص34

[4] الجويني :المصدر السابق ،ج2 ،ص84

[5] النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ،ص331

الخرابة وتفرقوا منهم في من نزل في درابزون[1] ومنهم من ذهب إلى وادي الشفيقة[2] وتهافتت عليهم الناس وسرقت خزانة جلال الدين منكبرتي وإغتنى الناس لدرجة أنهم تركوا الألات والأقمشة في الطرقات[3]

وتمكن جنود الحلفاء من أسر صاحب الروم بعد أن أحاطوا به وقيدوه وطلبوا منه تسليم المدينة وأظهر أهلها العصيان ولكن عندما أحسوا بخطورة الموقف سلموا المدينة إلى الأشرف ،وظل جهان شاه معتقلا حتى مات في إعتقاله[4]

أما جلال الدين منكبرتي لإإنه من شدة هول الهزيمة التي حلت به فقد وصل إلى خرتبرت في حالة يرثى لها بعدها إستدعى وزيره وسار معه إلى خلاط بعدها سار إلى أرجيش[5] ثم أذربيجان بعد أن ترك وزيره في سكماناباذ وأقام هو في بخوى .

على أن القوات الحلفاء لو سارت إليه لقضت عليه ولكنهم ظنوا أن إنهزامه خدعة لإستدراجهم ،وبعد أن تيقنوا من هزيمته سار الأشرف إلى خلاط وعرظوا عليه الكرج قلاعهم فما أخذ منها إلى قلعة ألتي[6] كانت أجودها[7]

إنطلق الأشرف بقواته قاصدا خلاط، فوصل خرتبرت و أخبره أهلها بقدوم جلال الدين عليهم في طريق عودتهم ، ثم صار إلى منازجرد فإستقبله أهلها و عسكره بعدها إتجه إلى أرجيش وأكرمه

[1] دبرازون : مدينة في الساحل البحر الأسود ،انظر ،أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص210

[2] الشفيقة : في اللغة العربية تعني الأرض بين الجبلين صلبة يستنقع منها الماء ،انظر ،أبو الحسين بن فارس : معجم مقاييس اللغة ،تح عبد السلام هارون ،ج3 ،د.دن القاهرة ،1366هـ/1371هـ ،ص172

[3] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص210

[4] ابن واصل :المصدر السابق ،ص300

[5] أرجيش :احدى مدن ارمينية الكبرى وهي بالقرب من خلاط ،انظر ، ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج،ص114

[6] ألتي :قلعة بأرمينية غرب كرس ،انظر ، أبو الفضائل ابن نظيف : المصدر السابق ،ص209

[7] ابن العبري :تاريخ الزمان ،ص277

صاحبها الملك المعظم[1] و بقي الأشرف بها يترقب الموقف ويستطلع الأخبار و رتب إليزيك لقرب وزير جلال الدين منكبرتي من بيكرى[2] وهم الأشرف بالحاق بجلال الدين و تردد في ذلك، ثم إستشار أحد القادة في أمر جلال الدين فأشار عليه برأي رشيد يحقن الدماء و يحفض الحرمات ويراعي حال المسلمين[3] ، ولقد أحسن الأشرف في إستشارته فقال له : كيف نعمل بجلال الدين قال : إذا أذن للملوك قال ما عنده " فأذن له فذهب وأحضر أحد أصراه من الخوارزميين ومنحه الأمان على نفسه وقال له :"تمضي إلى جلال الدين تعرفه إحسانا إلا من عندنا من الأسرا وما لكم من راتب ونفقة و حرمه ليفعل مع من لنا عنده كذلك "

فسار إلى جلال الدين وبلغه المقولة فما كان من جلال الدين إلا ان طلب منه أن يرجع إلى الأشرف و يطلب منه رسولا ليحادثه، فعاد الرسول ونقل إلى الأشرف طلب جلال الدين فقال له الأشرف وكان يخشى من بطش جلال الدين برسله " ما عندنا مثلك وأنت أمينا ونسمع ما تقوله فعاد إلى جلال الدين وعرفه ما تم الإتفاق عليه[4] "فرد جلال الدين فقال له :"تقول للأشرف يا خوند[5] أنا ما أسأت اولا ولا شك أني سيرت المجيد قاضي الممالك إليكم في أحسن السفارة و أفسد بيننا ومع هذا فقد طلب المسالمة فما اجبتم إليها ، ودخل الحاجب بلادي وخربها وأخذ حرمي ،وفعل ما قد علمتموه وطلب الصلح فيما فعل ،ثم ولي أيبك طلب الصلح فما فعل و جرى ما جرى بقدر الله و قضائه وعندي الأن ملوك و عندكم مماليك، فإن إخترتم الصلح بسم الله[6]

ولم تنطلي هذه المبررات على الاشرف ولم يسكت لتهديد الذي بدر من جلال الدين فارسل رسوله بجواب جاء فيه:"أن تدخل على المولى السلطان وتقول ياخوند انت سلطان ابن سلطان وما أردنا لك

[1] أبو الفضائل :المصدر السابق ،ص213-214

[2] بيكرى :هي من اعمال خلاط ، أنظر ، أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص214

[3] أبو شامة :المصدر السابق ،ص159

[4] أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص214-215

[5] خوند :كلمة فارسية تعني السيد ، انظر ، أبو الفضائل ابن نظيف :المصدر السابق ،ص218

[6] ابن العبري :مختصر تاريخ الدول ،ص430

ذلك سوءا وقد بلغت فيما فعلته في بلدنا من خراب ونهب وقتل والذي كان قصدك بلادك كما زعمت فقد قابلناه على ما فعله ،وأنت فما أبقيت في سوء المعاملة وإراقتك للدماء ،فبلادنا خربت فصلحنا على اي شيءيكون ،فإن أردت ذلك فأنزل عن هذه البلاد التي ماكانت لك ولا لأبيك ،لنعمر نحن بالعامر الخراب ،ونحن فما إشتهينا أذيتك ، لأن خلقك أعداد كثيرين وأنت أبتر ،فهذا موجب إبقائنا عليك رحمة ،وأما قولك :لي عندك ملوك وعندنا مماليك ،فالذي عندك مماليك أيضا وأخي مجير الدين أقدر أنه مات ،ولي عدة إخوة وأولادهم جماعة ،واهلي ما يناهض الفي فارس من بيتنا ولي من يكلفني ما ورائي وأنت فمالك أحد"[1]

-ويذكر النسوي:أن الأشرف كان حريصا على الصلح حقنا للدماء وحريصا على قوة جلال الدين لتقف في وجه التتار فارسل إلى وزيره شرف الملك وذكره إبن نظيف:بإسم خواجاجهان وكان مقيما بسكاناباد قائلا له بعد أن لاطفه"إن سلطانك سلطان الإسلام والمسلمين وسندهم ، والحاجب ذونهم ودون التتار وسدهم وغير خاف علينا ماتم على حوزة الإسلام وبيضة الدين بموت والده ،ونحن نعلم أن ضعفه ضعف الإسلام ،وضرره عائد على كافة الأنام ،وأنت قد حلبت الدهر أشطره ،وعرفت نفعه وضرره ،وذقت حلوه ومره ،فهلا ترغب في جمع الكلمة ماأهدي سبيلاوأقوم قيلا ،ولم تدعوه إلى الألفة التي هي أحمد في البدء والعقبي وأقرب إلى مايقربه إلى الله زلفى ،وما أنا ضامن لسلطان من جهة علاء الدين كيقباذ وأخي الكامل ما يرضيه الإنجاد والإسعاد وإصفاء النيات على حالتي القرب والبعاد والقيام بما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة الفرقة"[2]

وإستحسن جلال الدين هذه الرسالة حيث حفظ مكانته بعد أن هزم شر هزيمة على يد قوات الحلفاء ،فمال إلى الصلح وترددت الرسل بينهم في ذلك وكان آخر رسول تمت على يديه مراسيم الصلح النهائية هو الشمس الدين التكريبي الذي ذهب إلى تبريز وإستحلف جلال الدين للأشرف بعدم

[1] ابن العبري :تاريخ الزمان ،ص228

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص33-334

الإعتداء على مملكاته في خلاط ونواحيها[1] وإستثنى من ذلك سرمارى[2] لأنها معدودة من أعمال أذربيجان فالح عليه التكريبي بالنزول عنها لأن صاحبه دخل في طاعة الملك الأشرف فنزل في نهاية الأمرعنه ولكن جلال الدين توقف عن الحلف لعلاء الدين كيقباذ لما يحمله من غل عليه وبقي الرسول مصرا في طلبه ، ومضى شهر وجلال الدين مصر على عدم إقرارالصلح مع الروم وكان يقول :"قد حلفنا لكم بجميع ما أردتم، فخلوا السبيل بيني وبين صاخب الروم"وبقي الرسول يراجعه في ذلك ،فلم يحلف له إلى أن وردت الأخبار بوصول التتار إلى العراق العجمى عندئذ إظطر إلى الحلف لصاحب الروم والكف عن بلاده[3]

-وأخيرا كانت هذه المعركة بين الطرفين فرصة استثمرها جلال الدين لتحسين علاقته مع جيرانه في بلد الشام والجزيرة وسيما وأن الخطر المغولي قادم من الشرق للقضاء على الدولة الخوارزمية ومن ثم الهجوم على البلدان الإسلامية فيما ورائها[4]

-ومنه نستخلص من هذا المبحث :

1-القضاء على الدولة الخوارزمية وإضعاف قةة سلطانها الذي حاول وعمل كل مابيده بلمي شمل الجيش ولكن هذه المعارك أثرت على تعداد جلال الدين

2-برغم السيرة جلال الدين الحسنة إلآ أن جيشه أثر على سمعته مع جيرانه وهذا ماجعل الإسماعليين يستنجدون بالمغول للقضاء على الدولة الخوارزمية التي باتت يشكل لهم خطر ويجد القضاء عليها

[1] أبو البركات الحنبلي : المصدر السابق ،ص295

[2] سرمارى :قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط ،انظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج3 ،ص315

[3] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص334-335

[4] محمود ياسين التكريتي :الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ،دار الرشيد ،بغداد ،1981م،ص294

4-تجدد الخطر المغولي على الدولة الخوارزمية ونهاية جلال الدين :

أ-أحوال المغول بعد إنتصارهم على جلال الدين في المرة الأولى:

بعد معركة السند وفرار جلال الدين إلى الهند ،ثارت القبائل التانجوت فقرر جنكيز خان العودة إلى بلاده بعد أن تمكن من الإنتصار على جلال الدين منكبرتي وسيطر على أغلب أقاليم الدولة الخوارزمية إلا أنه لم يحتفظ بهذه الأقاليم لأن جيوشه الجرارة عندما قدمت إلى هذه الأقاليم أتت على الأخضر واليابس فلم تترك أي معنى للحياة بها ،فقتلوا أهلها ونهبوا أموالها وسبوا حريمها ولم يبقوا على أحد بها بل أنهم عمدوا إلى إحراقها وخرابها وفعلوا بسوادها كذلك فأصبحت تلك الأعمال جميعها خالية من الأنيس خاوية على عروشها كأن لم تعن بالأمس[1]

ومن المسلم به أن هناك أمور أخرى شغلت المغول عن الإلتفاف إلى البلاد الإسلامية ومن ذلك بروز أحداث جديدة أصبحت تهدد كيانهم في بلادهم الأصلية[2] و من أجل ذلك نرى جنكيز خان يبذل كل جهوده من أجل الحفاظ على هذا الصراع الذي شيد وحتى تتسنى له الفرصة من جديد لتوسيع مملكته على حساب البلدان الإسلامية المجاورة له ، فكان أول ما قام به بعد رجوعه إلى بلاده هو محاربة القبائل الثائرة عليه وفي خريف عام 623هـ/1226م قاد جنكيز خان أخرحملاته ضد المملكة التانجوت شمال التيبت التي لم تكن خاضعة تماما لسلطانه ،وفي ربيع العام التالي 624هـ/1227م حاصر العاصمة سونج-هسيا مدة طويلة إلى أن سقطت المدينة فدخلها المغول وقتلوا أهلها وخربوها وفي هذه الأثناء مرض جنكيز خان وتوفي في النصف الأول من رمضان 624هـ/1227معد أن إستدعى أولاده وأوصاهم أن يحلفه إبنة الثالث اوكتاي في الحكم بعد وفاته وحمل جثمانه إلى منغوليا ودفن في منطقة التي يخرج منها نهر أنون وكيرولين[3]

[1] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص344

[2] احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص221

[3] احمد حطيط :المرجع السابق ،ص44

ومما زاد في تأخر الزحف المغولي على بلدان العالم الإسلامي في هذه الفترة هو بقاء عرش المغول خاليا لمدة عامين بعد وفاة جنكيز خان فإضطراب أحوال المغول لذلك سارع الأمراء بالعودة إلى قراقورم منغوليا لأنهم خشوا إذا ظل الحكم للأمراء في ولاياتهم دون رجوع إلى الخان الأعظم أن تحدث فتنة وتخرج على الدولة عدو لها فإجتمع مجلس الشورى المغولي "قورتيلاي"وتشاوروا فيمن يخلف جنكيز خان ويتولى زمام هذه الإمبراطورية وكان من عادة المغول أن يقوم أصغر الأبناء مقام أبيه بعد وفاته إلا أن الأمراء خالفوا هذه القاعدة المعمول بها عندهم وقرروا تنصيب أوكتاي على عرش هذه الإمبراطورية تردد أوكتاي في ذلك إلا أنه إنصاع إلى ذلك في آخر المطاف[1]

مما تجدر الإشارة إليه أن المغول رغم إنشغالهم بتعيين خان جديدلهم إلا أن إعتداءاتهم لم تنقطع عن أراضي الدولة الخوارزمية ،فقد كانت جماعات مغولية غير منتظمة تخرج فتغير على البلدان الإسلامية وتتوغل فيها بحروب أشبه بحروب العصابات[2] فجميع المؤرخين المسلمين يؤكدون إغارات كثيرة لهم على ويحاول النسوي أن يحمل براق الحاجب أتابك كرمان المسؤولية في مراسلة المغول[3]

ب–جهاد جلال الدين ضد المغول :

وعندما فرغ جلال الدين من كسرة الإسماعلية نتيجة قتلهم أمير من أمرائه الكبار ورد إليه الخبر بمقدم طائفة من التتر وأنهم وصلوا إلى دامغان بالقرب من الري طمعا في الإستلاء على ما تبقى من ممتلكات الخوارزميين وإستغلال خيراتهم فما كان منه إلا أن سار إليهم ليباغتهم في دامغان ةإلتقى الفريقان وإشتدت الحرب بينهم وحمى الوطيس وإستبسل الخوارزمين في قتالهم فإنهزام المغول من أرض المعركة سنة 624هـ/1227م فأوسعوهم قتلا وتتبعوا المنهزمين عدة أيام يقتلون وياسرون[4]

[1] احمد حافظ حمدي : المرجع السابق ،ص221

[2] ابن الأثير : المصدر السابق ،ج9 ،ص353

[3] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص238

[4] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص374

وفي العام التالي ورد الخبر بمقدم فرقة مغولية كبيرة صوب أراضي الدولة الخوارزمية ،وكان جلال الدين مقيما بتبريز،فلما سمع بقربهم من أصفهان خاف على أولاده وحرمه فيها فجمع قواته وسار مسرعا إلى أصفهان لأن "إلتقاءهم بها أصوب من الإحتياط والحزم أقرب ،لمافيها من عدة وعديد ورجال يمجون من بحار من حديد[1]

وصل جلال الدين إلى أصفهان وأعد فرقة الإستطلاعية تأتيه بأخبار المغول كان قواها أربعة الآلاف فارس ،أرسلها إلى الري ودامغان وكانت الأخبار تأتي من جهتهم يوما بعد يوم تخبره بتقديم المغول صوب أصفهان ثم رجعوا إلى جلال الدين منكبرتي وأخبروا بأحوال المغول وعرفوه بما في عسكر المغول من الفرسان الشجعان الذين كانوا كما يذكر إبن أبيك الدوادار"جمرة االمغول الوقادة وصاعقتهم المحرقة[2]

تقدمت جموع المغول ونزلت بقرية السين شرقي أصفهان وإستعدوا اللقاء القوات الخوارزمية بقيادة جلال الدين منكبرتي ، إلاأن جلال الدين لم يتحرك للقائهم لأن المنجمين قد أشاروا عليه ألا يقاتلهم إلا بعد ثلاثة أيام وصدق جلال الدين كلام المنجمين فلم يتوجه لمقابلة المغول إلا بعد إنقضاء المدة المحدودة وفي هذه اللحظات تجلت شجاعة جلال الدين فلم يكترث لمجيئهم أو الأقل تظاهر بعدم الإكتراث لمجيئهم حتى لا تفتر قواته ويصيبهم الخور والخوف ويظهر ذلك فيما أوردها النسوي:"ومما يدل على قوة قلب السلطان في الأمور القادمة ،وقلة مبالاته بالخطوب الكالحة إن جماعة الأمراء والخانات لما سمعوا بقرب العدو إنزعجوا لذلك وقصدوا بابه ،فجلسوا ساعة حتى أذن لهم بالدخول ،فلماوقفوا بين يديه وهو واقف في صحن الدار أخذ يتكلم زمام فيها ليس يتعلق بالتتار إستحقارابهم ،وإظهار للجماعة بأن الأمر ليس بأمر وإن الحادث ليس بذكر ، تسكينا لقلوبهم الخافقة وتقوية

[1] ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب في أخبار من الذهب ،المكتبة التجارية ،بيروت ،ج5 ،ص113

[2] ابن ابيك الدوادار :المصدر السابق ،ج8 ،ص284

لنفوسهم الفارقة[1] و إستمر جلال الدين في حديثه حتى تيقن ثبات جنده وأجلسهم في نهاية المطاف وعرض عليهم أمر المغول وقال لهم:"لقد داهمنا خطب جلل لنا وجود ،فعلينا أن تقاوم ونصبر أولا ،فقد يمن الله علينا وعليكم بالبقاء أما إن كان الأمر غير ذلك فلن نحرم أنفسنا من درجة الشهادة وفضيلة السعادة ،قال لله تعالى:{ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فإثبتوا وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون}[2]

ووقف جميعهم مع السلطان قلبا ولسانا[3] ،وكان جلال الدين يفتقر إلى الثقة في أمرائه وقواده لذلك نجده يلجأ إلى إستحلافهم على أن لا يهربوا من ميدان القتال نجده يعزز ثقة أمرائه به فيحلف لهم تبرعا منه من غير طلب منهم على أن يقاتل إلى النهاية.

ثم بدأ جلال الدين يرتب أوضاعه ويستعرض القوات المشاركة معه فإستدعى قاضي أصفهان و رؤساءهم وأمرهم بإجراء إستعراض عام لقوات أصفهان وتوزيع العدد عليهم ،كل ذلك من أجل رفع معنوية عند بقية قواته إذا أن عساكر أصفهان فيهم من من القوة الشجاعة والشدة وقوة البأس ما ليس في غيرهم[4]

ولما تأخر السلطان جلال الدين ثلاثة أيام عن الخروج ظنوا أن السلطان إمتلأ منهم رعبا وخوفا ،فأرسلوا ما يقارب من آلفي فارس إلى جبال أصفهان ليجمعوا لهم ما يقوتهم خلال حربهم مع الخوارزمية ،فلما بلغ جلال الدين خبرهم جرد إليهم ثلاثة الألاف فارس ،فإنطلقوا إليهم و ضيقوا عليهم الطرقات وتقابلوا معهم فأنزلوا بهم هزيمة ساحقة وقتلوا وأسروا ما يقارب أربعمائة أسير مابين

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص233

[2] سورة الأنفال : أية ،45

[3] الجويني :المصدر السابق ،ص70-71

[4] ابن ابيك الدوادار :المصدر السابق ،ص285

مأمور وأمير وأحضروهم إلى جلال الدين منكبرتي قتل بغضهم وسير الباقية إلى القاضي كي يقوم بقتلهم وسحبهم في شوارع المدينة حتى تسقط هيبتهم من قلوب عامة الناس[1]

ثم أمر جلال الدين بعد ذلك بالتبعبئة العامة لقرب الموعد المحدد لقتال المغول وأخذ ينظم صفوف قواته حيث وزعها إلى ثلاث مجموعات الميسرة والميمنة والقلب فوضع أخاه غياث الدين على ميسرة الجيش وضع أحدقواده الشجعان على ميمنة الجيش وتولى هو قيادة القلب،فلما ظهرت جموع التتار وترأي الجمعان حذله أخوه غياث الدين فإنسحب بعساكره ومجموعة من عساكر جلال الدين مقدمهم جهان بهلوان ايلجى.[2]

لقد كان هذا العمل الذي أقدم عليه غياث الدين بمثابة خرق لوحدة الصف الإسلامي الذي كان ينبغي أن يتم لدحر أي عدوان على بلدان العالم الإسلامي فالأمة الإسلامية في تلك الفترة عامة والدولة الخوارزمية متمثلة في جلال الدين منكبرتي خاصة كانت في أمس الحاجة إلى نبذ الخلافات والأطماع الشخصية وتحديد الخطر الحقيقي المحدق بالجميع ومن ثم تكثيف الجهود وتسخيرها ضد أعداء الأمة الإسلامية.

وكان أخوه غياث الدين عندما فارقه إتجه الى حوزستان طالبا الحماية من الخليفة العباسي المستنصر بالله فلم يمكنه النائب على خوزستان من الدخول خشية أن يكون مكيدة للإستلاء على خوستان فرده عن المدينة ردا جميلا ولما بلغه عودة التتار وإنتصار أخيه سارع بالذهاب إلى الإسماعلية في قلعة الموت[3]

وتقول الروايات التاريخية بأن جلال الدين لم يلتفت إلى ماقام به أخوه غياث الدين من مفارقته في ساعة العسرة بل إنشعله بأمر المغول الذين وقفوا أمامه إطلابه متفرقة ومترادفة ،وكان عسكر جلال

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص234

[2] الديار بكري :المصدر السابق ،ج2 ،ص371

[3] عفاف سيد صبرة ،المرجع السابق ،ص261

الدين أضعاف عسكرالتتار لذلك أمر رجال أصفهان بالعودة إلى مدينتهم إعجابا بكثرة قواته وإستحقارا لقوات التتار[1]

تقدمت عساكر جلال الدين وتباعدت الميمنة عن الميسرة بحيث لم تعرف الواحدة منها حال الأخرى "فإلتقوا على حرب أشابت الذوائب وأنارت الكواكب"،فحملت ميمنة السلطان على ميسرة التتار فأنزلت بهم هزيمة ساحقة ولاذ بعضهم بالفرار فتبعهم إلى تخوم قاشان ولم تكن مسيرة السلطان بأقل حظا من أختها فقد فعلت وأنزلت بأسها بالقوم الظالمين[2] وفرح جلال الدين بإنتصاره فما كان منه إلا أن ترجل وسجد شكرا لله تعالى وأشاد به أحد أمرائه وقال له :يذكر النسوي :"قد تمنينا دهرا أن نرزق مثل هذا اليوم الأبيض في هؤلاء الملاعين،نذهب فيه غيظ قلوبنا ،ونطفي حر صدورنا فلما سمح الدهر بالمأمول وجاء الزمان بإسعاف السول نجلى عطاش أمالنا عن الماء ويزاد عن مشربها العذب ببلابلها ظماء[3]

ولكن سرعان ما تحول النصر إلى عزيمة بعد أن باغتهم مجموعة من المغول وخرجوا إلى السلطان وهزموا ميسرة بقية فيها ثلاثة أشخاص ثم حملوإلى القلب فتشتتوا وإشتبك الفريقان بعضهم في بعض وثبت جلال الدين ومعه أربعة عشر نفرا ثم أحاط به المغول من كل جانب وألحقوا به هزيمة نكراء فلاذ بالفرار وتفرقت جيوشه في البلدان فمنهم من ذهب إلى فارس ومنهم إلى كرمان ومنهم إلى أذربيجان[4]

[1] النسوي : سيرة السلطان ،ص234-235

[2] اليافعي :المصدر السابق ،ج4؛ص57

[3] ابن ابيك الدوادار :المصدر السابق ،ج7 ،ص285

[4] ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ،ج5 ،ص113

إلى أن المغول رغم ما فعلوه بعسكر جلال الدين إلا أنهم هزموا كذلك فكانت هذه الواقعة التي لم يسمع بمثلها لإنهزام الفريقين[1]

وإختلفت الروايات التاريخية في تحديد تاريخ الواقعة فنجد اليافعي ورشيد الدين الهمذاني يذكران انها جرت في عام 624هـ/1227م[2] بينما النسوي يذكر أنها في الثاني والعشرون من رمضان عام 625هـ/1228م[3]

أما جلال الدين فذهب إلى خوزستان وتوافد عليه بعض فلول جيشه ولم يعلم به أهل أصفهان وعامة جيشه فقد زعم بعض أنه قتل وبعضهم قالوا أسير وإضطربت الأمور عند بقية أتباعه هل ينتظرون عودته أو يجهزوا أنفسهم لإختيار خليفة له،وهنا بدأت أطماع تظهر من قبل العامة أهل أصفهان حيث هموا إلى إعتداء على عورات النساء الخوارزمية وآموالهم ولو لا تدخل القاضي الذي طلب منهم عدم التعجل في ذلك حتى يتبين أمر السلطان[4]

وبعد ثمانية أيام خرج إليهم جلال الدين وصلى معهم صلاة العيد وأقبل عليهم جموع عساكره المتفرقة وفكافأ أمراء ميمنته بجزيل الرواتب والمراتب ولكي يثبت السلطان قوته أمام أعدائه سار بقواته ناحية الري ليلقى الرعب والخوف في قلوب المغول ويزيدهم نفورا كما جرد سراياه إلى أراضي خراسان لتتبع شتات المغول[5]

ولقد أورد إبن الأثير وإبن واصل صورة أخرى لوقائع هذه المعركة تختلف إلى حد كبير عن النسوي فهم اولا :يذكران أن الحرب بين جلال الدين والمغول تعددت حتى إختلف الناس في عددها ،وكانت الحرب بينه وبينهم سجلا مرة ينتصرون عليه ومرة ينتصر عليهم

[1] الذهبي :المصدر السابق ،طبقة63،ص20
[2] اليافعي :المصدر السابق ،ج4 ،ص57
[3] النسوي : سيرة السلطان ،ص238
[4] الجويني :المصدر السابق ،ج2 ،ص71
[5] النسوي :سيرة السلطان ،ص238

ثانيا:أن جلال الدين عندما تقابل مع المغول في المعركة السابقة لم يقتتل معهم بل أنه عندما إنسحبت أخوة غياث الدين مع مجموعة من عسكر جلال الدين ،ظن المغول أنهم يريدون أن يأتوا من ورائهم قيقعوا فريسة بين عسكر الخوارزميين فإنهزموا لهذا الظن ،أما جلال الدين فإنه لم رأى مفارقة أخيه له مع مجموعة من الأمراء ورأى تراجع المغول ظن أن ذلك خدعة من قبلهم ليستدرجوه فيوقعوا به فولى منهزما وهذه من أغرب الوقائع إذا إنهزام الفريقان من غير أن يقتلا[1]

كما أن جلال الدين لم يتجرؤ على دخول أصفهان خوفا من حصار المغول له،فمضى إلى سميرم[2] وتوقف التتر في الطريق إذا لم يروا أحد يلحق بهم فعادوا إلى أصفهان وضربوا الحصار حلوها ،وظن أن جلال الدين قد قضي عليه فبينما هم كذلك إذ ورد إليهم رسول جلال الدين يخبرهم بسلامته ويقول لهم:"لا بد أن يجتمع لدى من تفرق من العساكر وأقصدكم وإتفق أنا وأنتم على إزعاج المغول وترحيلهم عنكم"[3] ،ولصعوبة موقفهم أرسلو إليه على عجل يستدعونه إليهم ويعدونه النصرة والخروج إلى المغول لإنزال الهزيمة بهم ،فسار إليهم وإجتمع بأهل أصفهان ثم خرجوا جميعا لملاقاة المغول وما هي إلالحظات حتى إنهزم المغول أقبح هزيمة ،وسار جلال الدين خلفهم إلى الري يقتل ويأسر وعلى أية الحال فإن هذه الحملات المغولية لم تكن منظمة ومعدة من قبل دولة المغول ومما يدل على ذلك أن جلال الدين عندما توقف في الري جاء إليه رسول الخان اوكتاي يقول له "إن هؤلاء ليسوا من أصحابنا وإنما نحن أبعدناهم عنا[4]

[1] ابن واصل :المصدر السابق ،ص232

[2] سميرم :بلدة تقع في منتصف المسافة بين أصفهان وشيراز ،انظر ، المؤيد إسماعيل أبو الفدا :تقويم البلدان ،ص411

[3] ابن الأثير : المصدر السابق ،ج9 ،ص376

[4] ابن كثير :المصدر السابق ،ج13 ،ص132

كما أن هذه الجيوش رغم ما تحقق لها من إنتصارات فإنهم لم يفعلوا كما يقول الجويني:"أكثر من الإقتراب من أبواب أصفهان ثم عادوا مسرعين إلى ديارهم في وراء النهر بعد أن فقدوا معظم جيوشهم[1]

-التحالف المغولي الإسماعيلي :

ولم يتوقف الخطر الإسماعلية في إيواء بل أنهم أصبحوا يتتبعون أخبار جلال الدين وتحركاته وقوته وضعفه حتى إذا سنحت الفرصة فعلو كل مافي وسعهم من أجل القضاء عليه ،وليس أدل على ذلك من أنه حينما هزم جلال الدين على يد قوات الأيوبيين والسلاجقة وغيرهم أرسل زعيم الإسماعلية إلى المغول يعرفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أنهم حثوهم على سرعة القدوم لإستغلال الفرصة السانحة عقب الضعف الذي حل بجلال الدين إضافة إلى أنهم ضمنوا لتتر النصر على جلال الدين للوهن الذي صار إليه[2]

على أن المغول لم يكونوا في حاجة إلى تذكير من طائفة الإسماعلية ولا غيرها بضرورة لقضاء على جلال الدين فهم اولا شغلوا بأحداثهم الداخلية عقب وفاة جنكيز خان ولما إستقرت الأمور وتم تنصيب خان جديد كان لا بد له من مواصلة سياستهم السابقة الرامية إلى توسيع إمبراطوريتهم وسيطرتهم على أغلب ممالك الأرض ،ثبت بالدليل القاطع أن المغول رغم إنشغالهم بأحداث الداخلية إلا أنهم على علم بما صار اليه جلال الدين[3].

[1] الجويني :المصدر السابق ،ص72

[2] السبكي :المصدر السابق ،ج1 ،ص314

[3] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص262

جلال الدين وقد ذكر النسوي :"أن سلطانة خان أكبر بنات السلطان محمد خوارزمشاه التي تم أسرها على يد المغول أثناء زحفهم الأول على أملاك الدولة الخوارزمية وتم زواجها من إبن جنكيز خان كانت تعرف أخاهابالأحوال المغول وأخبارهم وما يستجد لهم[1] .

ومن ذلك أنها سيرت إليه وهو محاصر لخلاط خاتم من خواتم والدهما فيه فص منقوش عليه إسم السلطان محمد علامة منها لجلال الدين ،فعرف أخاها"أن الخاقان بلغه أخبار شوكتك وسكتك ،وإتساع باعك وبسطه رباعك ،فعزم على مصاهرتها والمهادنة معك على أن يشاطر الملك على نهر جيحون ،فيكون لك مادونه وله ما وراءه،فإن كنت تجد من قوتك وما يقاومهم فتنتقم ،وقاتلهم فتظفر فشأنك وما أردت ،وإلافاغتنم المسالمة حال رغبتهم[2]

ولم يلتفت جلال الدين إلى ما جاء في الرسالة وتشاغل عنها بالإستلاء على خلاط ولم يعر الأمر أي إهتمام ،فلم يرد على رسالتها تلك ولم يبد رغبة في مصالحة المغول ،وقد علق النسوي على ذلك بقول الشاعر:"كتاركة بيضاء بالعراء وملبسه بيض أخرى جناحا "[3]

وهذه الرواية حتى وإن صحت وعلمت بها أخت جلال الدين فإن المغول إنما كانوا يناورون جلال الدين بتلك المعاهدة وكان مقصدهم الأساسي إستمرار زحفهم والقضاء على الممالك في طريقهم على أية حال فإن التتر بعد أن إستقرت لهم الأمور أعدوا العدة لمواصلة برنامجهم التوسعي ،ففي بداية عام628هـ/1231م خرجت جموع المغول وعبرت بلاد ماوراء النهر قاصدة ملاحقة جلال الدين

[1] النسوي :سيرة السلطان ،ص300-301

[2] نفسه :300 -301

[3]نفسه : ص300-301

والقضاء عليه ،وكان هذا الجيش تحت قيادة أمهر قواد المغول وهو جرماغون نويان[1] الذي قاد جيشا يزيد تعداده عن 50000جندي بل زاد تعدادهم فيها بعد حتى وصل مايقرب من مائة ألف جندي[2]

وسارت هذا القوات بإتجاه إيران واستولوا في طريقهم على الري وهمذان وما بينها من البلاد[3] وما أن سمع جلال الدين ذلك حتى أرسل فرقة إستطلاعية فلما وصل إلى شروان صادفهم يزك المغول فوقعو القمة سائغة للمغول ولم ينج منهم إلى واحد وعند عودته أخبر جلال الدين بأن المغول على مقربة منه وأنهم مجدون السير للحاق به.

لم يصدق جلال الدين هذا الخبر المزعج وإعتقدأن المغول يشتون بالعراق ولم يتعدوا أذربيجان إلا في فصل الربيع لذلك رحل من تبريز إلى موقان لتجميع عساكره المشتتة.[4]

وبلغ الخوف والهلع بجلال الدين مبلغه حتى صرفه عن النظر لأمر حرمه وأعزية فتركهم في تبريز معتقدا أن يومه ذلك سوف يكون آخر عهده بأهله وأعزته كما يقول النسوي "كانت تنحدر الدموع من عينه على خديه لما يتوهمه من زوال ملكه ويتوقعه من هلكه ولمفارقة الأهل والأعزة على بأس من الإجتماع وتركه أياهم بالعراء معرضة للأعداء.[5]

نزل جلال وهو في طريقه إلى موقان[6] في قرية أرمينان حيث ورد عليه كتاب من والي قلعة بلك[7] يخبره بأن المغول قد أقاموا بمرج زنجان وان عددهم لا يتجاوز سبعمائة فارس فسر جلال الدين.

---

[1] جرماغون نويان :هو اشهر قادة المغول العسكرين ،شغل من المهام العسكرية والإدارية فقد تولى حكم الأقاليم الرابع للإمبراطورية المغولية غرب ايران الروم وشارك في تعقب جلال الدين في عهد اوكتاي ،انظر ،ابن العبري :مختصر تاريخ الدول ،ص456

[2] فؤاد عبد المعطي الصياد :المرجع السابق ،ج1 ،ص181

[3] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص382

[4] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص350

[5] النسوي :نفسه ،ص350-351

[6] موقان :ولاية باذربيجان فيها قرى ومروج كثيرة ،أنظر ،ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج5 ،ص225

[7] بلك :قلعة بالقرب من مدينتي خلخال وزنجان ،أنظر ، النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص277

بذلك وتوقع أن المغول قد أقاموا بمرج زنجان[1] وأن المغول سوف تملك زنجان وتقيم بها ولن تطارده ،ووصل مسيرة حتى بلغ موقان ،فوجد عساكره متفرقة في الأطراف فبعث البهلوانية إستعدادا لملاقات المغول بعدها إشغل بالصيد ومعه ألف فارس حتى باغته المغول فلاذ بالفرار وتوجه إلى نهر أرس بحركة تمويه على المغول بحيث يظنوا أنه ذاهب إلى كنجة ولكن حول مساره إلى أذربيجان وأقام بماهان ومن حسن حظ جلال الدين أن صاحب قلعة شاهق[2] لذي كان مجاهراله بالعصيان أحسن خدمته فكان تخبره بتحركات التتار ، وإنقض فصل الشتاء وكشف االمغول مكانه وخرجوا من أوجان لقصده فأشار عليه صاحب قلعة شاهق بالتوجه إلى أران لحصانتها وكثرة العساكر الموجودة فيها ويكون الطريق فيما بعد مفتوحا أمامه لتوجه إلا بلاد الهند عند حصار المغول له[3]

وعندئذ حاول جلال الدين تجميع القوى الإسلامية الموجودة في تلك الفترة لتقف معه صفا واحدا المواجهة المغول فأرسل رسله إلى كل من الخليفة وسلاطين الشام والروم إلاأن النسوي نراه يعتبر أن مراسلة جلال الدين للأشرف ولعلاء الدين كيقباذ كان خطأ حتى أنه يقول:"فلما باض الشيطان في رأسه فرخ وشوى السوداء في رأسه وطبخ كتاب علاء الدين والملك الأشرف وباذلا لهما الطاعة"[4]

فجاء في رسالة جلال الدين يقول :"إن جيشا جرارا من عساكر المغول كأنه النمل والثعابين من حيث الكثرة والقوة قد تحرك نحونا فإذا ترك وشأنه فسوف لاتصمد أمامه القلاع والأمصار وقد تمكن الرعب من قلوب الناس في هذه المنطقة فأذا هزمت وخلا مكاني من بينكم فلن تستطعوا مقاومة هذا العدو وأذن فأن لكم بمثابة سدالإسكندر ،فليسارع كل منكم إلى إمدادنا بفوج من الجنود حتى إذا ما وصلهم نبأ إتفاقيا وإتحادنا فترت قوتهم وقت في عضدهم فيتشجع جنودنا وتقوي قلوبهم"[5]

---

[1] زنجان :بلد كبير مشهورة من نواحي الجبال بين أذربيجان ،انظر ، ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج3 ،ص152

[2] قلعة شاهق :تقع في جزيرة وسط بحيرة أذربيجان ،انظر ،النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص264

[3] النسوي :سيرة السلطان ،ص356-357

[4] النسوي :نفسه ،ص358

[5] عفاف سيد صبرة :المرجع السابق ،ص263

لم تجد صيحات جلال الدين ولا نداءته في جمع الكلمة وتوحيد الصف أمام العدو المتكررة ويعلق الجويني على ذلك"هيهات هيهات لشجيرة الخلاف التي نبتت في الصدر وسقيت من ماء القلوب أن تثمر غير الشوك وجراح الزمان وهل ينجح الإعتذار والإستغفار بعد إثارة الثأر وطعن الرجال وقتلهم[1] ومما زاد الأمر السوء أنه في ظل الظروف الحرجة تخرج لنا بعض الحركات المناوئة للخوارزميين ويذكر النسوي:"خروج أهل تبريز على شمس الدين الطغرائى الوالي الخوارزمية تقربا إلى المغول ،وتشفيا في الأحقاد والأوتار"ووطأهم على ذلك مجموعة من الوزراء إلا أن الطغرائى تمكن من إخماد ثورتهم وحصن المدينة وزودها بمن يحفظها من حفظة الرجال[2] وتبعهم في ذلك أهل كنجة فقد أظهروا العصيان وقتلوا من وجدوه بها من الخوارزمية وحملوا رؤوسهم إلى المغول ولم يشأجلال الدين أن يصطدم معهم لأن الوقت غير المناسب فسير إليهم مجموعة من رجاله وأمرهم أن يستميلوا أهل كنجة ،وبينوا لهم خطورة الأمرلأن ذلك سيؤدي لأن ذلك سيؤدي إلى وقوعهم في قبضة المغول إلي أنهم "كانت الموعظة إذا لقيت عليهم جعلو أصابعهم في أذانهم وأسنعشواُ ثيابهم وأصروا واستكبروا إسبكبارا"[3]

لذلك توجه إليهم جلال الدين وأقام بالقرب من كنجة وترددت الرسل بين الطرفين وبذل لهم جلال الدين الأمان ووعدهم بالعفو والإحسان لكنهم أصروا على غير وعنادهم ،بل أنهم خرجوا إلى مقابلة السلطان ورموا خيمته بعدة سهام ،فما كان منه إلاأن حمل عليهم حملة واحدة ثم دخل المدينة وأمر بإحضار كل من سعى في إثارة الفتنة فقتلوا جميعا.[4]

مكث جلال الدين في كنجة سبع عشر يوما وبعد نقاش مع قواده قرر أن يستنجد بالملك الأشرف موسى وتتابعت الرسل إلى الملك الأشرف تحثه على توحيد الصفوف للوقوف في وجه الخطر الداهم

[1] الجويني :المصدر السابق ،ج2 ،ص86

[2] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص359

[3] نفسه ،ص360-369

[4] نفسه :ص369-370

إلا أن الأشرف تلكأ ويقول النسوي:"وهيهات أن الصيغية إذا تمكنت من القلوب تلبث وربما تورث وإن المستعين على العدو وبذي ثائرة كالمستجير من الرمضاء بالنار لم يرد الأشرف أن يقدم أي معونة لجلال الدين وحتى لا يحرج أمام رسل جلال الدين توجه إلى مصر .اعما أنه سيأتي بعسكره من مصر لنجدتهم وأخذ جلال الدين يتنقل بين المدن حتى وصلت إليه رسالة من رسله يؤكد له إنقطاع الأمل في وصول نجدة الملك الأشرف "وأنه لا يرجع من مصر إلا بعد إنفصال أمر السلطان مع المغول على إحدى الحلين[1]

لم يهتم جلال الدين بنجدة الملك الأشرف فأرسل إلى الملك المظفر الغازي إبن الملك العادل يطلب منه ومن صاحبي أمد و ماردين النجدة ووعده بأنه إذا إنتصر على المغول يملكه خلاط وما يرغب فيه من البلاد، كما حاول جلال الدين إستنجاد بلخليفة العباسي إلى انه لم يتمكن من ذلك[2]

مما يؤسف له أن جلال الدين سير في هذه الفترة ما يقرب من ستة آلاف فارس آغاروا على خرتبرت وأرزنجان وملطية كل ذلك نكاية بعلاء الدين كيقباذ مما أدى إلى تخوف مظفر الدين من أن يصيبه مثل ذلك إضافة إلى تحجج بحجج أخرى وأهمية منها أنه لا يستطيع أن يتصرف بدون الرجوع إلى إخوته وأنه ليس له قدرة عسكرية تمكنه من تقديم يد العون والمساعدة للسلطان ثم بين للرسل بأنه ليس له السلطة على صاحبي أمد وماردين وما علا جلال الدين إلا أنه يرسل إليهما ويختبرهما ليرى مدى صدقهما في إنجاده على المغول[3]

سمع النسوي :أثناء سفارته للملك المظفر بملاحقة المغول لجلال الدين للقضاء عليه فرغب في الإقامة عند المظفر بعد أن عرض عليه ذلك محبة في السلطان وحذر المظفر من عاقبة أمرهم نتيجة تخاذلهم

[1] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص371

[2] المؤيد إسماعيل أبو الفدا :المختصر في اخبار البشر ،ج3 ،ص147

[3] ابن واصل :المصدر السابق ،ج4 ،ص321

وتقاعسهم عن مساعدة جلال الدين إذ أنهم سيصبحون على خطر غظيم من جانب المغول أم جلال الدين إذ تمكن من من الإنتصار عليهم[1]

إنتقل جلال الدين إلى بقوته إلى جبل جور ،ولما دخلها وصل إليه خبر بملاحة المغول له،وقد نصحه أمر من أمراء التتار وكان قد تذمر منهم لذنب صدر منه بأن يترك طريقته السابقة في الحروب لتفرق جنده وقتلهم وأشار عليه بأن يكمن لهم حتى إذا وقفوا للراحة وإشتغلوا بالأكل "يدير عليهم كاسات الحمام بأيدي الإنتقام "ويبد وأن جلال الدين لم يستمع لنصائحه وكأنه قد فقد القدرة على التفكير ويسير مسرعا إلى حتفه إتجه جلال الدين بعد ذلك إلى ديار بكر وبقي االمغول يتتبعون أثره للقضاء عليه[2]

ولما هام جلال الدين بالرحيل وصل ايه رسول صاحب أمد يعرض عليه المساعدة العسكرية له بشرط أن يتوجه اليه لمقاتلة صاحب الروم لأنه إستولى على قلاعه فقبل جلال الدين طلبه وتوجه إليه وعلق النسوي بقوله:"مثله مثل الفريق يتعلق بما تصل إليه يده وقعر عن السباحة وكره "[3]

وإستمر جلال الدين على حاله حتى داهمته جيوش المغول من كل جانب واحاطت به وبعسكره ،فامر قائده اورخان أن يسير في طريق أخر ليوهم التتار بأنه من ضمنهم ولاذ بالفرار.

أمارشيد الدين الهمذاني :فيذكر أن جلال الدين بعد مباغتة المغول له ولي هاربا ، بعد أن أمر أورخان بعدم إنزال العلم من موضعه وأن يقاوم بقدر الإمكان ليتمكن من الهرب.[4]

توجه جلال الدين بعد ذلك إلى باشورة أمد ومنعه أهلها من دخولها ،بعدها توجه إلى ميافاقين وأقام بإحدى قرى ميافاقين .

[1] النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص373

[2] الهمذاني :المصدر السابق ،ص45

[3] النسوي :سيرة السلطان ،ص373

[4] الهمذاني :المصدر السابق ،ص46

ج–مقتل جلال الدين :

لقد إختلفت الروايات في حقيقة مقتل جلال الدين في حقيقة مقتل جلال الدين

–فيذكر إبن الأثير :أنه بعد إنهزامه لم يعرف أحد طريقه ولم نتحقق لجلال الدين خبرا ولا نعلم هل قتل أو إختفى لم يظهر نفسه خوفا من التتار أوفارق البلاد إلى غيرها والله أعلم"[1]

–أما النسوي :وهو أشد الناس إلتصاقابجلال الدين فيذكر أنه بعد أن تمكن من قتل الفرسين صعد الجبل وكان الأكراد يحفظون الطرق فأخذوه وسلبوه كل ماتملك ،فحين هموابقتله قال لي كبيرهم سرا:"أنني أنا السلطان فلا تعجل في امري ووعده بمراتب عليا في دولته في حالة إيصاله إلى بلاده أو إحضاره عند الملك المظفر فيعطيه المال ما يتمناه من المال "عندئذ رغب كبير الكرد في ايصاله إلى بلاده ،فذهب به إلى عشيرته وأدخله بيته فحضر رجل كردي ورأى جلال الدين أمامه فقال للمرأة ماهذا الخوارزمي هل تقتلونه؟فقالت:لا سبيل إلى ذلك وقد آمنه زوجي وعرف أنه السلطان وذكر أنه قتل أخاه بخلاط فضربه ضربة أغنت عن الثانية وكان ذلك سنة 628هـ/1231م[2]

–يذكر إبن واصل:"أن جلال الدين عندما وصل إلى قرية من قرى ميافارقين أرسل بعض إلى أهل القرية رجل كردي كان عسكر جلال الدين فقتلوا أباه وأخاه فوثب على جلال الين وقتله"[3]

–وعند إنقطاع خبر جلال الدين بقي الناس في حيرة من أمرهم فظن بعضهم أنه ذهب إلى الهند كما فعل أول مرة وبقي جماعة من العجم والخوارزمية بعد إختفائه مدة طويلة ينتظرونه "كما تنتظر الحاكمية الحاكم والأمامية محمد الحسن المنتظر والكيسانية محمد إبن الحنيفة[4]

[1] ابن الأثير :المصدر السابق ،ج9 ،ص386

[2] النسوي :سيرة السلطان ،ص385

[3] ابن واصل :المصدر السابق ،ج4 ،ص322

[4] ابن واصل :نفسه ،ص323

-ولما بلغ خبره إلى الملك المظفر حزن عليه وتألم له وأرسل ليتحقق من مقتله فأحضروا معهم سلاح جلال الدين فعرف الخوارزميين بمقتله[1]

وقد أرثاه جلال الدين بعد مقتله قائلا :"يا من إرسال رقاب الكاشخين دما،من بعد فقدك أبكت العيون دما ،لأن أرباح صروف الدهر ساحته ،فأنظر إلى الملك والإسلام لا جرما ،فالدين منثلم والملك منهدم ،وظل حبل العلى والمجد منجذما"[2]

-وبهذا سقطت الدولة الخوارزمية التي كان لها الدور القوى كدولة هامة من دويلات المشرق الثغرية حتى أن جماعة دخلوا إلى الأشرف موسى بعد مقتل جلال الدين فهنأه بموته فقال "تهنئوني به وتفرحون وسوف ترون غبة والله لتكونن هذه سببا لدخول التتار إلى بلاد الإسلامية وما كان الخوارزمي إلى السد بيننا وبين يأجوج مأجوج[3]

[1] سبط ابن الجوزي :المصدر السابق ،ج8،ص669-670

[2] النسوي :سيرة السلطان ،ص383

[3] أبو المحاسن :النجوم الزاهرة ،ج6 ،ص275

الخاتمة

من خلال دراستنا لجهاد جلال الدين منكبرتي استطعنا معرفة الاحوال السائدة في القرن السابع هجري وان العالم الاسلامي بصفة عامة و الدولة الخوارزمية بصفة خاصة شهدت احداث ووقائع غيرها من دولة قوية مسيطرة على معظم المناطق الى دولة مدمرة و مخربة و ذلك بسبب عدة عوامل ادت بها الى السقوط في ايدي المغول منها عوامل داخلية و التي كانت احد الاسباب الرئيسية في هذا الزوال منها:

ضعف النظام الحربي الذي كان مكون من العنصر التركي الذي اصبح فيما بعد قوة سيطرت على الدولة وضايقت الاهالي و سرقت ممتلكاتهم كما ان قواد الجيش اصبحت تتحكم في السلطان مثل ما حصل في خلاط فقد نهبوا وسلبوا و هذا دليل على خوف جلال الدين منهم ، خاصة وان جيش جلال الدين اصبح جيش مرتزقة و همه الوحيد كسب الارزاق و ملء الجيوب و تكتر الاموال بدل الجهاد و نشر الإسلام.

عدم اهتمام جلال الدين بإصلاح النظام الداخلي فقد اهتم هذا الاخير بالغزو وفتح البلاد اي انه فضل النظام الخارجي على النظام الداخلي، كما ان جلال الدين لو يهتم بالبلاد و المناطق التي خربها جنكيز خان في عهد والده مثل خرسان و غزنة بل اهتم بالعراق العجمى رغم اها مناطق ذات اهمية و بمثابة سد للدولة الخوارزمية .

ظهور الصراع و الخلاف بين ابناء السلطان و هذا يعتبر من الاسباب الاولى لضعف النظام الداخلي و عصيان رحال الدولة للسلطان منكبرتي و انفضوا من حوله و احاطوه بشبكة من الدسائس والمؤمرات و بداوا يشعلون نيران الثورة عليه و الخروج عن طاعته خاصة ولاة البلاد التي كانت خاضعة له مثل اذربيجان .

لقد كانت هذه العوامل مساعدة لبداية اهيار الدولة الخوارزمية و بروز عوامل خارجية و التي كانت بمثابة النقطة التي افاضت الكاس و المتمثلة في :

مواجهة جلال الدين الى مشكلة تفرقة القوى الاسلامية ووحدها اعتبرت من الاسباب الرئيسية في ضعف جلال الدين فقد بقي وحده في مواجهة المغول خاصة بعد عودته من الهند فالعداء الذي كونه ضد جيرانه المسلمين لم يكن في وقته ، فهذا فرق تسمل الوحدة الاسلامية و زاد من ضعف

جلال الدين الذي غلبت عليه النزعة العسكرية على النزعة السياسية التي ادت به الى مواجهة المغول وحده.

كل هذه العوامل الداخلية و الخارجية ساهمت في ضعف الدولة الخوارزمية و بالتالي سقوطها على ايدي المغول فذلك السد المنيع ضعف وانهار و بانهياره ضعف العالم الاسلامي و بدات الدول تتساقط الواحدة تلوى الاخرى.

اما عن النسوي فقد يرى المؤرخين انه لم يكن من الكتاب البارزين في عصره رغم انه تولى كتابة الانشاء في عهد جلال الدين و دليل ذلك كتاباته المتواضعة و التي غلب عليها طابع التصنع و استعماله المحسنات البديعية و غيرها من الرموز الادبية ، كما ان بعض المستشرقين اخذوا كتاب و ترجموه دون ان يراعوا المعنى الحقيقي للامثال المستعملة وحتى شرحها بالمعنى الحقيقي .

اما من وجهة نظرنا فنحن نرى ان النسوي قد اوصل لنا الاحداث التي قامت في تلك الفترة و لكنه صور لنا شخصية جلال الدين في بعض الاحيان كالملاك الذي لا يخطا و قد بالغ في وصفه ، كما نرى انه كان منحاز لجلال الدين منكبرتي بشكل كبير ولا ننكر اننا استفدنا من هذا المصدر الا ان النسوي و قع في اخطاء توضح لنا حبه للسلطان و مدى مساندته اليه كما نجد كتاباته يغلب عليها الطابع الادبي و الذي كان من الصعب في بعض الاحيان فهمه و كثرة استعماله للمحسنات البديعية الا انه يبقى مصدر اولي ساعدنا كثيرا في تحرير بحثنا.

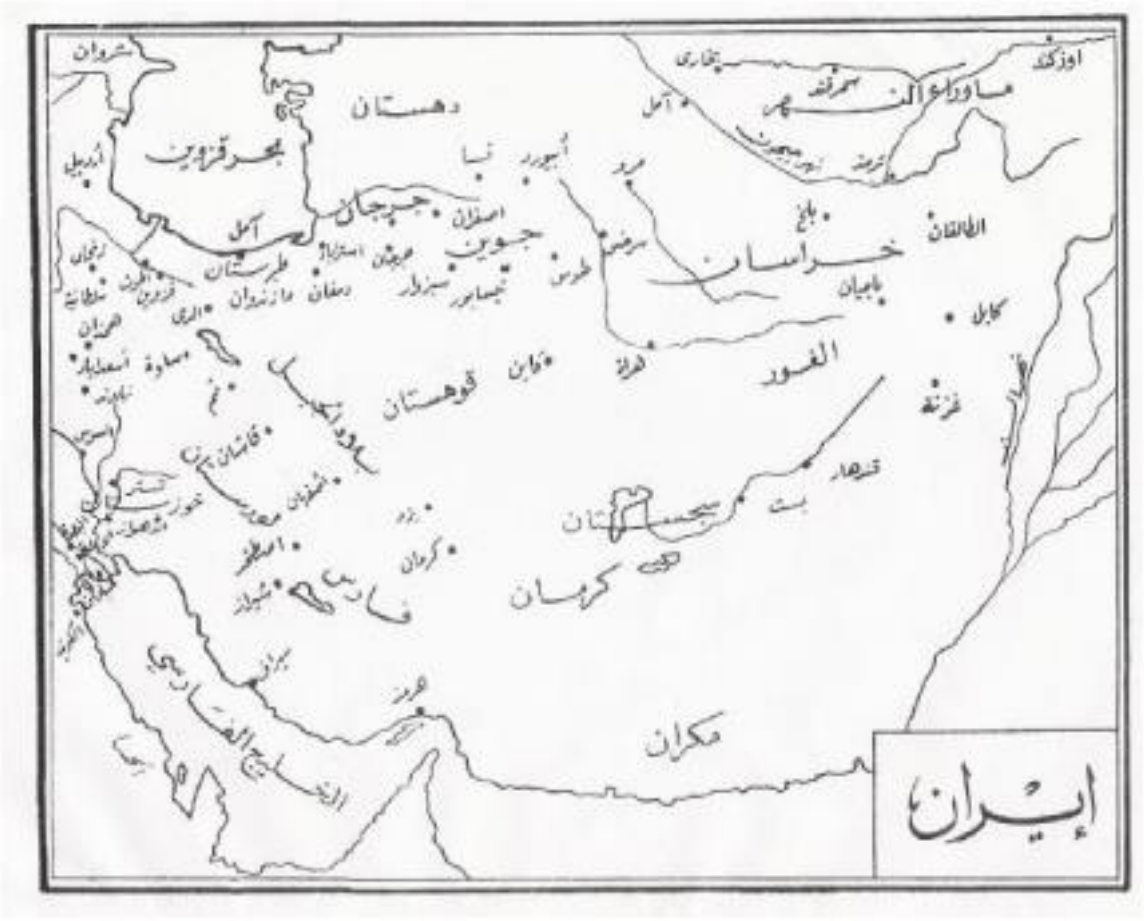
ملحق الأول

سلاطين خوارزم

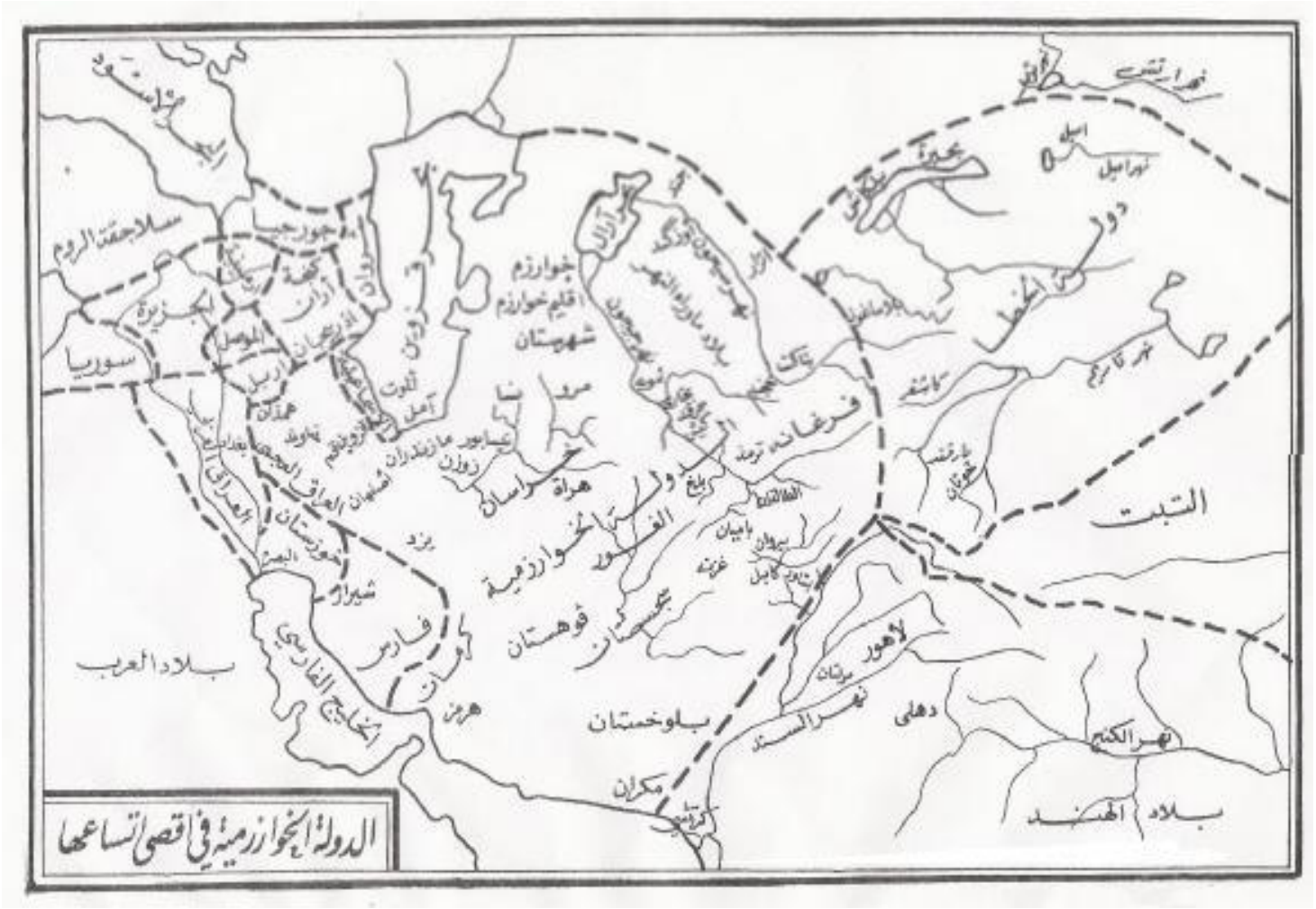


كتاب النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص5

ملحق الثاني



نقلاً عن: أبو غضيب: أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر،

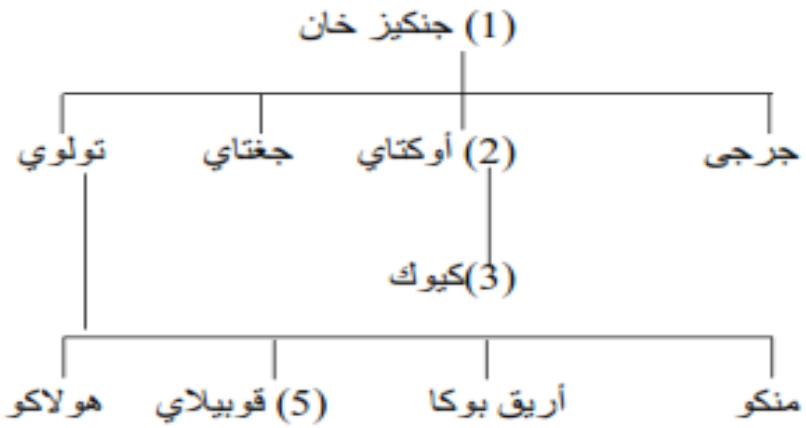


الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها

احمد حافظ حمدي :المرجع السابق ،ص14

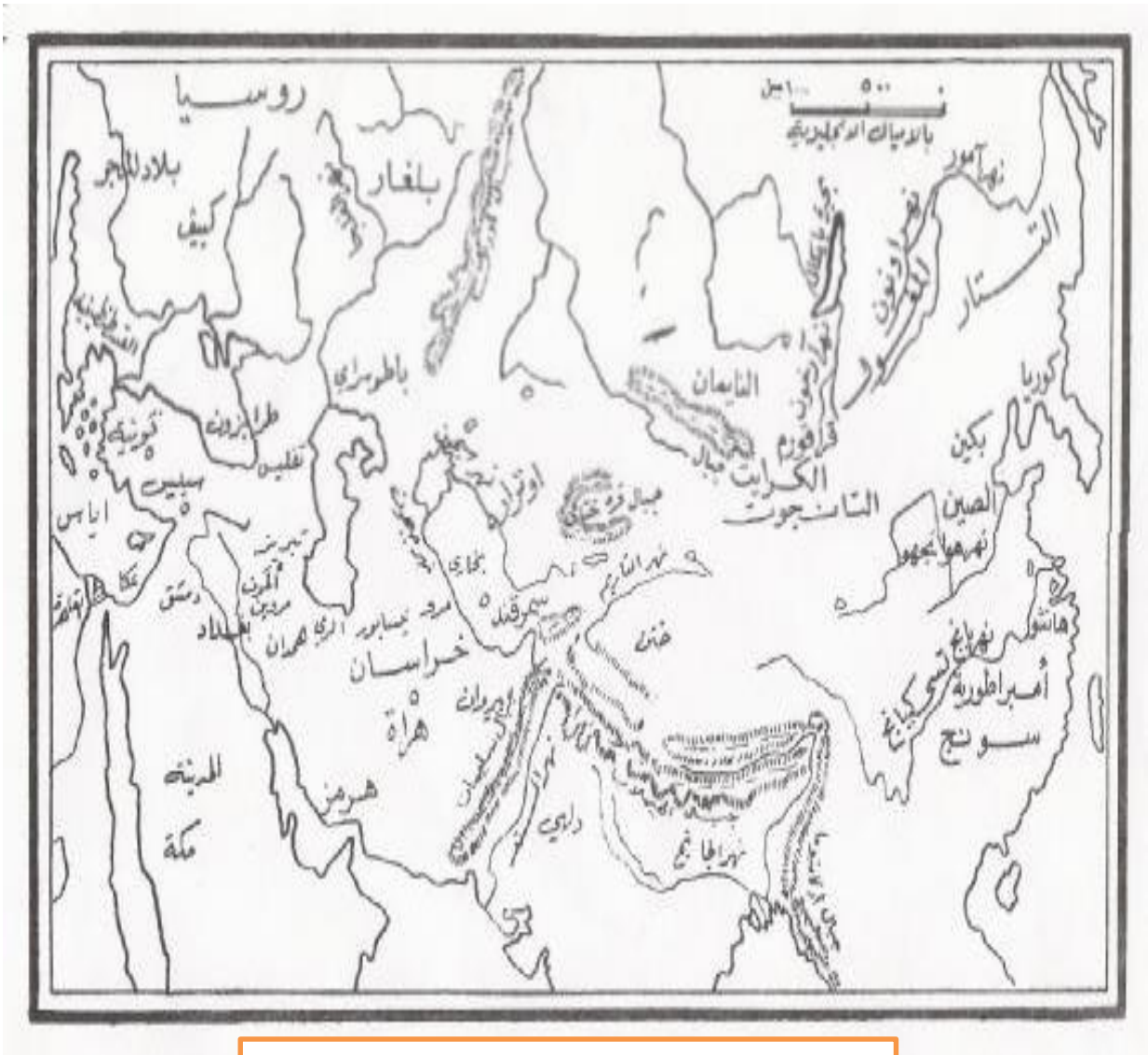
ملحق الرابع

خانات المغول



ملخص من كتاب الهمذاني: جامع التواريخ.

ملحق الخامس



الامبراطورية المغولية (الصياد المغول في التاريخ ج1 ص 394)

رسالة جنكيز خان الأولى لخوارزم شاه بعد قتل تجار القافلة.

من المعهود من الملوك أن التجار لا يقتلون، لأنهم عمارة الأقاليم، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك، فقتلهم نائبك، فإن كان أمراً أمرت به، طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك.

ولكن خوارزم شاه قتل رسول جنكيز خان.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص119.

الرسالة الأخيرة من جنكيز خان إلى خوارزم شاه بعد فشل المفاوضات لتسوية الأزمة

تقتلون أصحابي وتجاري وتأخذون مالي منهم، استعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به.

ابن الأثير: الكامل، ج12، ص363.

مفتتح رسائل جنكيز خان الذي كان يفتتح به رسائله الموجهة لملوك الإسلام يـدعوهم للطاعة:

من نائب رب السماء ما سح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قان قان.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص156.

أ–المصادر :

1. ابن ابيك :(عبد الله بن ابيك الدوادي ،ت 832هـ)،كنز الدرر وجامع الغرر ، ،تح : سعيد عاشور ،ج7، القاهرة ، ط1، 1391هـ/1972م
2. ابن الأثير : (علي بن احمد بن ابي الكرم ،ت630هـ)،الكامل في التاريخ ،تح : ابي الفدا عبد الله القاضي،ج12، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،1987م
3. ابن الشحنة : (ابو الفضل محمد الشحنة ، ت890)، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، دار الكتاب العربي ، سورية ، 1404هـ/1974م
4. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد ،لبنان ،1403هـ/1983م

–ابن العبري: (غريغوس ابي الفرج اهرون الطيب)،تاريخ الزمان ، تر :اسحاق ارملة ، الشرق ، بيروت ، لبنان ، 1986م

5. ابن العديم : (ابو القاسم الصحاب كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن جرادة ، ت660هـ) ،زبدة حلب من تاريخ حلب ، تح : الدهان ، بيروت ،ط1، 1387هـ
6. ابن العماد الحنبلي :(ابو الفلاح عبد الحي احمد بن محمد ،ت 1079هـ)،شذرات الذهب في اخبار من الذهب ، المكتبة التجارية ، بيروت
7. ابن العميد : المكين جرجس ،اخبار الايوبيين ، مكتبة الثقافية الدينية ، بمصر
8. ابن الفوطى :الحوادث الجامعة ةالتجارب النافعة في المائة السابعة ، دار الفكر الحديث ، بيروت ، لبنان ،1407هـ/1987م
9. ابن الوردى : تاريخ ابن الوردي ،تح :احمد رفعت البدراوي ،ج3، 1986م
10. ابن تغري بردي : (ابو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي ، ت874هـ)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، د.ط ، 1349هـ/1930م
11. ابن حوقل : (ابو القاسم بن حوقل النصيبي) ،صورة الارض ، دار صادر ، بيروت

12. ابن خلدون :(عبد الرحمن بن خلدون ، ت808هـ)،ديوان المبتدا والخبر، تح : سهيل زكريا ، دار الفكر ، بيروت ،2000م

13. ابن دقمان :(ابراهيم بن محمد العلائى ،ت809)، الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، تح :سعيد عبد الفتاح عاشور ، نشر مركز البحث العلمي واحياء الترث الإسلامي ، بجامعة ام القرى

14. ابن طولون : (محمد بن طولون الصالحي)، تاريخ الصلحية ، تح :محمد احمد دهان ، دمشق ،ط1401،2هـ/1980م

15. ابن ظهيرة : (ابو السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسن ،825هـ/885هـ)، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تح :مصطفى السقا كامل المهندس ، دار الكتاب ،القاهرة ، 1969م

16. ابن عبد الحق البغدادي : مراصد الاطلاع على اسماء الاماكنة والبقاع،تح:علي محمد البجاوي،د.دن ،القاهرة ،1654م

17. ابن فارس : (ابو المحاسن بن فارس زكريا ،ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، 1366هـ/1371م

18. ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط3، 1407هـ/1978م

19. ابن منظور : (ابو الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، ت711هـ) ، لسان العرب ،د.دن، بيروت ، 1388هـ/1986م

20. ابن نظيف الحموي :(ابو الفضائل محمد بن علي)،التاريخ المنصور تلخيص الكشف البيان في حوادث الزمان ، تح :ابو العيد دودو، دمشق ، 11401هـ/1981م

21. ابن واصل :(جمال الدين محمد بن السالم بن واصل ،ت697هـ)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تح: حسنين ربيع ، ج4، القاهرة ، 1974هـ/1977م

22. ابو البركات الحنبلي : (عز الدين احمد بن ابراهيم بن نصر الله الكناني العسقلاني ، ت876هـ)، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تح :ناظم رشيد ، بغداد ،ط1978م

23. ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ،ج3، دار العرفة ، بيروت ، لبنان ،د.ت

24. ابو الفدا :تقويم البلدان ، ،د.دن ،باريس ، 1840م

25. ابو شامة :(شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل، ت 665هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضين ، القاهرة ،د.ط ، 1947م

26. الإدريسي :نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ،ج2،نشر مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ط1،د.ت

27. الأصطخري : المسالك والممالك ، تح : محمد جابر عبد العال ، القاهرة ،1961م

-الذهبي : العبر في خبر من خبر ، تح : ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1305،1هـ

-الذهبي : دول الإسلام ،تح : محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394هـ/1974م

-الذهبي :سيرة اعلام النبلاء ، ج22 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط1، 1422هـ/2001م

28. الجويني :(علاء عطاءالله ملك)،تاريخ جهانكشاي ،نشره وصحح محمد عبد الوهاب القزويني ،د.دن ،لندن ،1329هـ-1355هـ/1911م-1985م

29. الحسيني : (صدر الدين علي بن ناصر) ، اخبار الدولة السلجوقية ، صححه :محمد اقبال ، دار الافاق الجديدة ، بيروت 1984

30. الحسيني : زبدة التواريخ اخبار الامراء والملوك السلجوقية ، تح : محمد نور الدين ، الكويت ، 1985م

31. الحميري : محمد بن عبد النعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار ، دار السراج ، بيروت ، ط2، 1401هـ/1980م

32. الديار بكري : (حسن بن محمد الحسين ، ت966هـ) ، تاريخ الخميس في احوال أنفيس نفيس ، مؤسسة شعبان ، بيروت،د.ت

33. الذهبي : (شمس الدين محمد بن احمد بن قايمار ،ت 848هـ)، تاريخ الاسلام ووفيات الاعيان المشاهير والاعلام ، طبقة 63، تح : بشار عواد واخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1408هـ/1988م

34. الرواندي : محمد بن علي بن سليمان بن محمد ، ت599هـ) ، راحة الصدور واية السرور في تاريخ السلجوقية ، تر: ابراهيم الشواربي واخرون ، دار العلم ، القاهرة ، 1379هـ/1960م

35. سبط الجوزي : (شمس الدين ابو المظفر يوسف قزاوغلي ، ت654) ،مراة الزمان في تاريخ الأ عيان ، ج8، حيدر اباد ، الهند ،ط 1، 1370هـ

36. السبكي : (تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن الكافي ،767هـ/771هـ)،طبقات الشافعية ، تح : عبد الفتاح محمد الحلو اخرون ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت ،د.ت

37. السيوطي : جلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكر بن محمد ،ت911هـ)، تاريخ الخلفاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ،ط1، 1407هـ/1977م

القرأن الكريم

38. القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ، ط1، 1404هـ/1984م

39. القلقشندي : (ابو العباس احمد بن علي بن محمد ، ت821هـ)، صبح الأغشى في صناعة الإنشا ، مج 4، القاهرة ، 1919م

40. المدائني :فصل في نهج البلاغة حملات الغزو المغولي للشرق ،تر:مختار جبلي ،دار لارماتون،باريس ،1990م

41. المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط2، 1957م

42. النسوي نور الدين محمد : نفثة في المصدور في فتور الصدور وزمان صدور الفتور ، تر : عادل عبد المنعم سويلم زهدى للطباعة ، القاهرة ، 2004م

43. النسوي : (شهاب الدين بن احمد بن علي ،ت 640هـ) ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تح : احمد حافظ حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1953م

44. النويري:نهاية الأرب في فنون الأدب ،تح :نجيب مصطفى فواز –حكمت كشلي فواز ،ج27،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،د.ت

45. الهمذاني : جامع التواريخ ،تر الصياد ، دار النهضة العربية , بيروت ، ط1،1983م

46. اليافعي : مراة الجنان وعبرة اليقظان ، بيروت ، ، 1490هـ/1970م

47. ياقوت الحموي:(شهاب الدين بن عبد الله الحموي ،ت626هـ)،معجم البلدان ،ج1،ج2،ج3؛ج4،ج5،دار صادر ،بيروت ،د.ت

48. اليعقوبي : فتو ح البلدان ،د.دن ،دب ،دت

ب–المراجع:

1.احمد السعيد سليمان :تاصيل ماورد في تاريخ الجبروتي ،دار المعرف ،القاهرة ،1989م.

2.إقبال عباس :تاريخ إيران بعد الإسلام ،تر :محمد علاء منصور ،دار الثقافة للنشر،القاهرة،1989م.

3.الفقي :الدولة العباسية ،مكتبة نهضة الشرق ،القاهرة ،1987م

4.بارتولد شبولر:تاريخ التركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ،تر:صلاح الدين هاشم ،1981م

–تاريخ الترك في آسيا الوسطى :تر أحمد سعيد سليمان ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1996م

5.بروان إدوارد :تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ،تر:إبراهيم أمين الشواربي ،القاهرة ،1373هـ/1954م

6.البستاني:دائرة المعارف البستاني ،ج6،بيروت,1995

7.التكريتي : الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ،دار الرشيد ، بغداد ،1981م

8.حسن إبراهيم حسن:تاريخ الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير،بغداد ،ط1971م

9.الحسيني أبو طالب :مذكرات تيمور لنك :تر:دين الملاح ، دار الكتب الوطنية ،ط1

10.حسينين عبد المنعم:دولة السلاجقة،القاهرة ،1985

11.حطيط أحمد:حروب المغول

12.حمدي أحمد حافظ:الولة الجوارزمية والمغول،دار الفكر العربي،د.ب؛د.ط،د.ت

13.الحوفي أحمدمحمد:الزمخشري ،دار الفكر العربي ،د.ب،ط1، 1966م

14.خليل عماد الدين :الإمارات الأرتيقية في الجزيرة والشام ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط1400،1هـ/1987م

15.ستالي لين بول :الدولة الإسلامية ،تر:محمد صبحي فرزات ،دمشق ،1394هـ/1974

16.السمارائي واخرون :تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (132هـ656هـ)،دار الكتب للطباعة والنشر ،د.ب،ط1،د.ت

17.سياقي محمد دبير:السلطان جلال الدين خوارزمشاة،تر:أحمد الغولي،العدد 132،ط2003،1م

18.السيد أكرم عبد المؤمن:أضواء على تاريخ توران تركستان ،تقديم أحمد محمد جمال ،إستانيول،ط1965م

19.الصاوى محمد الصاوى:جنكيز حان فاتح العالم ،مكتبة النافذة،الجيزة،ط1، 2012م

20.صبره عفاف سيد: التاريخ السياسي الدولة الخوارزمية ، القاهرة ، ط1، 1408هـ/1987م

21.الصياد عبد فؤاد عبد المعطي:المغول في التاريخ ،دار النهضة العربية،للطباعة والنشر ،بيروت،1970

22.طارق لطفي سلطان :تاريخ الإسلامي في العصر العباسي 334هـ/656هـ،مطبعة ابن الأثير للطباعة والنشر ،د.ب،ط2،د.ت

23.عاشور :العصر المماليك في مصر والشام ،د.دن،القاهرة ،1965م

24.عبد الرحمن زكي:السلاح في الإسلام ،د.دن،القاهرة،1951م

25.العبود نافع توفيق:الدولة الخوارزمية ،مطبعة الجامعية,بغداد،1986م

26.العريني بازر:المغول،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1972م

27.عكاشة ثروت:إعصار من الشرق جنكيز خان ،دار الشرق،بيروت،ط5 ، 1992م

28.عودات أحمد :تاريخ المغول المماليك،دار الكندي،إربد،1990

29.الغامدي :أوضاع الدول الأسلامي في المشرق ،مطبعة الرياض ،1981م

30.الغامدي عبد الله :جهاد المماليك ضد المغول والصليبين ،أم القرى ،1410م

31.غانم زيان حامد:الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية

32.الغزاوي عباس :التعريف بالؤرخين عي عهد التركمان ،ط1985

33.فامبري أمنيوس :تاريخ بخارى، تر :احمد محمود الساداتي ،القاهرة ،1965م

34.الفقي عصام :الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق،دار الفكر العربي ،القاهرة،1987م

35.فهمي غبد السلام عبد العزيز:تاريخ الدولة المغولية في أيران ،دار المعارف ،الإسكندرية،1981

36.كي لسترنج : بلدان الخلافة العباسية الشرقية ،تر :كوركيس عواد ،بشير يوسف فرنسيس ،نشر مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط1405،2ه/1975م

37.م.م الرمزي :تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع فزان وبلغار وملوك التتار ،علق عليه :إبراهيم شمس الدين ،ج1،منشورات محمد علي بيضون ،النشر كتب السنة والجماعة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 1423ه/2002م

38.النبراوي فتيحة وأخرون:قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته بين الماضي والحاضر ،الإسكندرية منشأة عارف،د.ب،ط1، 1983م

ج–رسالة العلمية :

حكمت محمد علي أمبابي :رشيد الدين الوطواط وإنتاجه الأدبي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،اداب عين شمس ،1989م

فهرس محتويات

الفصل الأول :دراسة كتاب النسوي سيرة اللطان جلال الدين منكبرتي

1-تعريف كتاب :

أ-تعريف النسوي.....ص1-2

ب-إلتحاقه بالخدمة الجيش.....ص2-3

ج-أسلوب كتابة النسوي.....ص3

2-تعريف الكتاب :

أ-دراسة كتاب من الناحيةالظاهرية.....ص4

ب-من الناحية الباطنية.....ص4-5

3-أهمية الكتاب.....ص6

أ-نقد وتقييم الكتاب.....ص7-8

4-تعريف المحقق:

أ-أسلوب كتابته.....ص8

ب-مؤلفاته.....ص8

الفصل الثاني :لمحة عن تأسيس الدولة الخوارزمية:

1-تعريف إقليم خوارزم.....ص9-11

2-قيام الدولة الخوارزمية(490هـ-1193م/626هـ-1231م)

1-موقعها.....ص12

2-الحيا السياسية :

أ-حكم أنوشتكين.....ص12-13

ب-حكم قطب الدين.....ص13-14

ت-حكم اتسز.....ص14-15

ث-حكم أيل أرسلان.....ص17

ح-حكم علاء الدين تكش.....ص17

ج-حكم علاء الدين محمد خوارزم شاه.....ص18-44

3-تعريف السلطان جلال الدين منكبرتي.....ص45-49

4-مقارنة بين جلال الدين ووالده.....ص50-51

الفصل الثالث :جهاد جلال الدين منكبرتي:

1-حروب جلال الدين ضد المغول.....ص51-58

-أوضاع ايران في حكم غياث الدين.....ص58-61

أ-خروج جلال الدين من الهند وتوجه الى كرمان.....ص61-62

ب-مواجهة جلال الدين لأحيه غياث الدين.....ص62-64

ج-إستلاء جلال الدين على أذربيجان.....ص64-65

2-علاقته مع القوى المجاورة:

1-الكرج.....ص65-69

2-الإسماعليين.....ص70-73

3-الأيوبيين.....ص73-86

3-تحالف سلاجفة الروم مع الأيوبيين ضد جلال الدين ص87-101

4-تجدد خطر المغول ومقتل جلال الدين :

أ-أحوال المغول بعد انتصارهم على جلال الدين.....ص102-103

ب-جهاد جلال الدين ضد المغول.....ص103-116

ج-مقتل جلال الدين ص117-118